مطابع الف باء ـ الأديب ـ دمشق

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܣܚܠܐ ܒܝܬ ܡܩ̈ܕܫܐ
ܘܢܬܒܥܐ ܡܢ ܩܕܡ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܒܩܐ ܕܢܣܒ ܟܠ ܗܘ
ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܘܠܐ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܘܒܩܢܐ ܥܕܡܐ
ܥܕܡܐ. ܟܬܒܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

المجاهد الرسولي الأكبر

مار يعقوب البرادعي

ܐܓܘܢܣܛܐ ܫܠܝܚܝܐ ܪܒܐ

ܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܒܘܪܕܥܝܐ

بقلم قداسة

مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق

١٩٧٨

ܡܥܠܬܐ

ܠܡܪܢܐ܆ ܠܐ ܣܓܝܐܐ ܙܘܥܐ ܘܥܡܐ ܠܟܠ ܦܘܪܫܢ ܘܐܦܪܝܢ ܢܘܗܪܐ
ܠܗ ܗܠܝܢ ܘܢܦܫܝ، ܗܢܘܢ ܚܣܝܪܘܗܝ ܕܝܘܒܠܐ ܡܫܝܚܝܬܐ
ܘܟܠ ܡܢܗ ܡܥܡܕ ܒܝܘܪܕܢܢ ܢܗܪܐ، ܟܐܦܐ ܕܝܠܗ ܘܗܘ ܡܬܕܟܪ
ܘܐܦܢ ܘܐܘܪܚܬܐ ܫܦܝܪ ܡܫܒܚܝܢ، ܐܝܟ ܕܡܬܚܙܝܢ ܟܬܒܐ ܘܗܘ
ܠܡܬܐ ܕܠܥܠܡ ܡܬܪܢܐ ܐܝܟ ܡܢܗ ܦܠܚܘ ܡܫܝܚܐ ܠܐܬܪܗ،
ܢܗܘܐ ܡܝܬܝܢ.

ܗܢܐ ܕܢܬܠ. ܡܢ ܕܘܟܬܐ ܕܠܗܠ ܣܦܪܐ ܡܕܝܢܗ، ܘܡܬܥܝܪܬܐ
ܠܐܘܪܚܬܐ ܡܕܝܢܗ، ܘܡܬܝܢ ܐܝܟ ܕܡܢܗܘܢܐ ܕܝܠܗ. ܘܗܘܝܐ
ܢܗܪܐ ܕܝܠܗ ܘܡܢܗܘܢܬܗ ܒܟܠ ܐܘ ܒܡܕܝܢܐ ܕܝܠܗ ܘܡܬܩܢܢܐ
ܦܝܢ ܘܠܐܦܝܢ. ܗܢܘܢ ܕܠܐܟܠ ܐܘܪܚܬܐ ܕܢܬܠ ܒܟܠܗܝܢ ܙܢܝܢ
ܠܟܠܗܝܢ ܘܣܦܪܐ ܘܡܢܗܘܢܬܐ ܙܢܝܢ، ܒܟܠܗܝܢ ܗܠܝܢ ܕܐܝܟܢܐ
ܐܦܪܝܢ ܘܡܫܬܥܠܐ ܥܠܝܢ ܠܟܠܗ ܐܝܟ ܕܗܘ ܘܢܗܘܘܢ، ܘܠܐܚܪܢܐ
ܘܦܘܪܫܢ ܕܝܢܝܢ ܘܚܕܝܢ. ܘܗܢܘܢ ܐܠܗܐ ܡܢ ܘܐܘܘܠܬܘܡܐ
ܠܐܡܝܢ.

ܒܬܪ ܗܠܝܢ ܗܘ ܕܠܡܥܒܕܗ ܡܫܝܚܝܐ ܘܕܝܢܝܢ ܟܠܗܘܢ ܠܐ
ܘܡܢܗܘܢ ܘܢܘܪܐ ܘܠܟܠܗ ܕܠܡܗܘܐ ܘܡܢܗ ܥܘܕܪܢܐ ܕܒܠܐ ܡܢܗܘܢܐ.
ܢܗܘܐ ܗܘ ܟܠܐ ܠܟܠܢ ܕܒܠܐ. ܐܡܝܢ ܘܡܢ ܠܐ ܢܗܘܐ ܡܢܗܘܢ
ܢܗܘܘܢ ܐܡܝܢ، ܘܠܐ ܡܢܗܘܢ ܠܟܢܫܬܐ ܘܡܫܝܚܝܬܐ ܘܡܫܝܚܝܢ
ܡܫܝܚܝܐ ܐܘܪܘܢ. ܢܗܘܘܢ ܐܡܝܢ.

ܘܡܫܡܫܢ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܫܥܡܐ ܐܪܒܥܝܢ ܘܚܕ
ܦܛܪܝܪܟܐ

المحتــــوى

			ص
توطئـــــــة	:	.. ..	٥
الفصل الأول	:	المنشور البطريركي	٧
الفصل الثـاني	:	حداثة مار يعقوب	١١
الفصل الثـالث	:	ظهوره للحارث بن جبلة	١٣
الفصل الرابـع	:	شخوصه الى القسطنطينية	١٤
الفصل الخامس	:	رسامته مطراناً مسكونياً	١٦
الفصل السادس	:	علاقة الحارث بن جبلة به وبكنيسته	١٨
الفصل السابـع	:	زياراته الرعويــة	٢٤
الفصل الثـامن	:	قيامه برسامة مطارنة	٢٥
الفصل التـاسع	:	تسلمه كتاباً من القديس أنتيموس القسطنطيني ..	٢٧
الفصل العاشـر	:	رسامته سرجيس التلي بطريركاً لأنطاكية ..	٢٩
الفصل الحادي عشر	:	الفصول الثلاثـة	٣٠
الفصل الثاني عشر	:	رسامته بولس الثاني بطريركاً لأنطاكية ..	٣٤
الفصل الثالث عشر	:	مكافحته بدعة تثليث الجواهر	٤١
الفصل الرابع عشر	:	أهم حدث كنسي في عهده	٤٥
الفصل الخامس عشر	:	شخوصه بجمهرة من الرهبان الى القسطنطينية ..	٤٧
الفصل السادس عشر	:	رسامته مار أحودامه جاثليقا للمشرق	٤٨
الفصل السابع عشر	:	اهتمامه بتوحيد الصفوف	٥١
الفصل الثامن عشر	:	الضغط على أعوانـه	٥٨
الفصل التاسع عشر	:	عزله بولس الثـاني	٦٣
الفصل العشـرون	:	مآثـره وآثاره	٦٧

تـوطئـة

نحمد الله على ما أولانا من عظيم الآلاء ونقول : لقد أوعبنا الصفحات التالية سيرة المجاهد الرسولي الأكبر مار يعقوب البرادعي ، لمناسبة احتفالنا في هذه السنة بذكراه المئوية الرابعة عشرة ، كي يقف المؤمنون على بطولاته الفذة في مضمار الجهاد الجميل أسوة بالقديس بولس الرسول ٠

لقد أرسله الله نصيراً للهدى ، ودعمه بفعل الخوارق ، وجمّله بصنوف الفضائل ، حتى انتشر أريج فضله وفضيلته في جميع الأصقاع شرقاً وغرباً ٠ ذلك بأنه قاد سفينة الكنيسة المضطربة بتعب جزيل الى ميناء الأمن والراحة في ظروف كانت فيها الزوابع الصاخبة والأنواء العاتية تزمجر عليها مهددة اياها بالارتطام والغرق ، حتى أضحى بطل الأرثوذكسية الأكبر غير منازَع ٠

لا شك في أن سيرته الرسولية المعبّقة بعبير النسك والتعبد والتهجد والصوم والطوى والنضال عن حق الكنيسة ، خير مثال يُحتذى ٠ فعسى أن ينسج المؤمنون على منواله ويصونوا من كل شائبة جوهرة الايمان الذي جاهد في سبيله الجهاد المستميت ٠

المؤلف

دمشق في ١٥ آذار سنة ١٩٧٨

الفصل الأول

المنشــور البطريركـي

لمناسبة مرور ألف وأربعمئة سنة على وفاة مار يعقوب البرادعي

باسم الله الأزلي السرمدي الواجب الوجود

أغناطيوس يعقـوب الثـالث بطريرك كرسي انطاكيـة وسـائر المشـرق الرسولي

نهدي البركة الرسولية والأدعية الخيرية الى أخوتنا الأحباء

صاحب الغبطة جاثليق المشرق وأصحاب النيافة المطارنة الجزيل وقارهم ، وحضرات أبنائنا الروحيين نواب الأبرشيات والخوارنة والرهبان والقسوس والشمامسة الموقرين ، ولفيف أفراد شعبنا السرياني الأرثوذكسي المكرمين شملتهم العناية الربانية بشفاعة السـيدة العذراء والدة الالـه والقديس مـار يعقوب البرادعي وسائر الشهداء والقديسين ٠ آمين

« الصدّيق يكون ذكره الى الأبد » (مز ١١٢ : ٦)
« ذكر الصدّيق بركة » (أم ١٠ : ٧)

بعد تفقّد خواطركم العزيزة نقول : اذا كان فم الصدّيـق ينبوع حياة ، وعمله للحياة (ام ١٠ : ١١ و ١٦) وسبيله استقامة (اش ٢٦ : ٧) كقول الكتاب العزيز ، فكيف لا يكون ذكره مؤبداً ؟ واذا كان الصـدّيق يرث الأرض ويسكنها الى الأبـد ، ويُزهر كالنخلة كقول صاحب المزامير (مز ٣٧ : ٢٩ و ٩٢ : ١٢) ، فكيف لا يكون ذكره بركة لمن يلهج به ليل نهار ، وراحة عظمى لمن يتفيأ ظلـه الـوارف ، ولـذّة ليس بعدهـا لـذّة لمـن يقطف ثماره اليانعـة الطيبـة ؟ واذا كـان جميـع الصدّيقين قـد حُفظت

لهم أكاليل العدل التي يجزيهم بها في ذلك اليوم الرب الديان لقاء جهادهم الجهاد الجميل واتمامهم شوطهم وحفظهم الايمان أسوة بمار بولس الرسول (٢ تي ٤ : ٧ و ٨) ، فقديسنا مار يعقوب البرادعي يقف بكل حق بين الأوائل نظراً الى توقله سلَّم العلوم البيعية التي حببت اليه الفضيلة وخدمة الانسانية ، وتسلقه قمة الفضيلة ، وتعبيقه سيرته بشذى النسك والتقى فضلاً عن البطولة الفذة ٠ لقد أفل نجمه اللامع في الثلاثين من تموز سنة ٥٧٨ م ولكن ذكره العطر لا يزال حياً عبر الأجيال في كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته (١ تي ٣ : ١٥) ٠

أجل ، لقد فاضت روحه الطاهرة وانطفأ مشعله الوضَّاء منذ ألف وأربعمئة سنة ، وانضم الى مواكب القديسين بعد نضال مستميت دام خمساً وثلاثين سنة ، ففقدت فيه الكنيسة أكبر مجاهد رسولي وقف حياته كلها لنصرة ايمانها القويم ولانعاش عقيدتها السمحاء ، بتعليمه الصحيح الذي هو على مقتضى التقوى (١ تي ٦ : ٣) ٠ نعم فقدت خير قائد ومرشد روحي في شتى المجالات بل صعاب المتاهات ، مُبلياً فيها بلاءً حسناً إبّان محنتها ، يوم زمجرت عليها زوابع صاخبة وأنواء مزبدة تقصد تحطيم سفينتها على الشواطىء الصخرية ٠ فلم تزلَّ خطواته اذ كان فمه يهذ بالحكمة ولسانه ينطق بالعدل وفي قلبه شريعة إلهه (مز ٣٧ : ٣٠ و ٣١) ٠ وبالعكس فانه أحيى موات عقيدتها التي عبثت بها يد الحدثان ، وأنقذ بنيها من عاديات الزمان وأباطيل الضلال، وهيأ لهم أسباب حسن المآل ، فطبّقت بذلك شهرته الخافقين ٠ ذلك بأنه جاب متنكراً ومشياً على الأقدام ، بلاد سورية وما بين النهرين وفارس وأرمينية وآسيا الصغرى ومصر وجزائر قبرس ورودس وخيوس ومدللي مثبتاً المؤمنين ، كما ثبت دعائم

الايمان في بلاد النوبة والحبشة أيضاً ، مقتحماً الأهوال ومتجلداً على أعظم الأخطار · وقد رافقته العناية الربانية في حلّه وترحاله ، وصانته من مناوئي عقيدة الكنيسة ومناهضيها الذين عبثاً بيّتوا لها الشر وحاولوا الايقاع به مرات عديدة وقد دبّت في نفوسهم آكلة الأكباد · ودعماً لحقه الالهي ، أجرى الله على يديه صنوف المعجزات ، من شفاء الأمراض المستعصية الى فتح عيون العميان واستنزال الغيث واقامة ميت في الرها وانقاذ الرها بالذات من الملك كسرى أنوشروان بن قباذ الفارسي · اذ تمكنت منه القداسة حتى أضحى فريد عصره وقريع دهره ·

فاذا كان الرجال يعرفون بأعمالهم ، فأعمال مار يعقوب البرادعي البطولية في سبيل إحقاق الحق وازهاق الباطل ، هي أشهر من نار على عَلَم ، ما حدا أعداء الكنيسة أن يصموها في ظنهم باطلاقهم عليها اسمه الكريم النفيس قائلين « الكنيسة اليعقوبية » · بيد أن عروس المسيح أبت الا أن تكون تسمية « الأرثوذكسية » شعاراً لها · واذا كان العالم يُكبر جهاد رجالاته العظام ، ويُكرم مثواهم ، ويفاخر بهم ، ويعقد على هاماتهم أكاليل المجد والغار ، وينصب لهم التماثيل الأنيقة في أشهر الساحات ، ويحتفل سنوياً بذكراهم ، فخليق بكنيسة المسيح أن تُكبر جهاد هذا الرجل العظيم القديس مار يعقوب البرادعي الذي نافح عن حقها الصريح حتى النسمة الأخيرة ، فكانت وزناته رابحات وكان من الفائزين · وقد أصاب العلاّمة مار يعقوب الرهاوي بضم اسمه الى دبتيخا الآباء الراقدين بالعبارة التالية : « ونذكر أبانا الصفي القديس مار يعقوب البرادعي مثبت ومعلم الايمان الأرثوذكسي » ·

وها نحن نعلن اليوم بمنشورنا هذا الرسولي وجوب اقامة مهرجانات رائعة في مختلف الكنائس يوم ذكراه المقدسة الواقع في

الثلاثين من تموز القادم ، وذلك لمناسبة مرور ألف وأربعمئة سنة على مجاورته ربه • فعسى الله يمنحنا بشفاعته بركة في هذا العالم ، وينجينا من تجارب ابليس والعالم والجسد ، ويشركنا في أجره في العالم الآتي كقوله له المجد : « من قبل صدّيقاً باسم صدّيق فأجر صدّيق ينال » (مت ١٠ : ٤١) •

على أننا في اقامتنا المهرجانات ، لا بد لنا من اقتباس درس رائع لحياتنا ، ألا وهو الاقتداء بهذا القديس والنسج على منواله في العفة والورع والصوم والصلاة والاخلاص والاستمساك من العقيدة الأرثوذكسية بالعروة الوثقى والذود عن حياض الكنيسة بكل ما في الكلمة من معنى ، وفقاً لقول مار بولس الرسول القائل : « أذكروا مدبريكم الذين كلموكم بكلمة الله • تأملوا في عاقبة تصرفهم واقتدوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) •

ألا بارككم الله وآجركم في الدهرين ، وصانكم من صنوف المكاره ، وزينكم بصفوة الفضائل ، وشملكم بنعمته بشفاعة مار يعقوب البرادعي وصلواته المقبولة • آمين •

صدر عن قلايتنا البطريركية بدمشق
في الثامن عشر من شهر شباط سنة ثمانٍ وسبعين وتسعمئة وألف
وهي السنة الحادية والعشرون لبطريركيتنا

الفصل الثاني

حداثة مار يعقوب(١)

ولد في مدينة تلاّ(٢) نحو سنة ٥٠٠ م(٣) • والده هو القس ثاوفيل السرياني ابن معنو من قرية كموا في جبل الازل المحاذي للجزيرة السورية • وكانت ولادته نتيجة ما تميّز به أبواه الورعان من صوم وصلاة ونذور وصدقات وما اليها ، اذ كانت أمه عاقراً • ومن صفوة نذورهما ، أن يقدّما للرب الولد الذي يرزقهما اياه ، للخدمة في دير مار اسطرطليس المعروف ب دير « فسيلتا » ، وكان بظاهر مدينتهما • فاستجاب الله طلبتهما ورزقهما ابناً سمّياه يعقوب • فنشّآه تنشئة صالحة ، وروّضاه على سنن التقوى والفضيلة • وفي الثالثة من عمره ، أدخلاه المدرسة حيث رضع لبان التعاليم الروحية والأدبية ، وتضلّع من اللغتين السريانية واليونانية ، وتوّقل خاصة سلّم العلوم البيعية التي حببّت اليه الفضيلة وخدمة الانسانية • ولما بلغ السنّ التي تؤهّله للانخراط في سلك الرهبنة ، أخذه أبواه الى الدير المشار اليه واستودعاه في يدي رئيسه البار الأب مار اسطاثاوس ، الذي سرّ بالنذير غاية السرور • وبعد أن اختبره وعرف غور تواضعه وحقيقة نسكه ،

---

١ ـ أمامنا ثلاث سير له بقلم المؤرخ مار يوحنا الافسسي • فالأولى تبتدىء بشخوصه الى القسطنطينية ورسامته مطراناً مسكونياً • والثانية تبتدىء برسامته ورسامة مار ثيودور مطران بصرى • أما الثالثة فمطولة وتبتدىء باخبار طفولته ورهبنته ، وهي التي لخّصها بالعربية المرحوم مار فيلوكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين •

٢ ـ هي تل موزلث بالسريانية • سميت ب قسطنطينية الصغرى • أما اليوم فتعرف باسم ويرانشهر وهي في تركيا •

٣ ـ دائرة المعارف البريطانية •

ألبسه الاسكيم الرهباني · فهبط من ثم ساحة الفضيلة ونزل الى ميدان القداسة ، جاعلا نفسه مثالا يُحتذى في السهر والصوم والصلاة ، مقارعاً فواتك الأهواء ولاجماً جسمه لئلا يسعى وراء الرذائل ، حتى ذاع خبره في المعمور ·

أما لباسه فكان ثوباً ثخيناً ينقسم قسمين ، كان يكتسي بأحدهما ويلتحف الآخر · ولم يبدّله صيفاً وشتاءً · وكلما تمزّق فيه شيء رقّعه حتى أضحى وكأنه بردعة بالية · من هنا لقب « البرادعي » · وكان يردّد قوله المأثور : « انه خير للنفس أن تتحلّى بأعمال الفضيلة من أن تختال تيهاً بما يقودها الى الهلاك الأبدي » ·

وبعد زمن يسير ، رُسم شماساً · فتسربل من ثم بيقظة الملائكة وهدوئهم ، حتى أنه كره رؤية النهار خارج صومعته فضلا عن الليل · ولما تضوّع أريج نسكه وفضيلته في كل مكان ، أقبل اليه المؤمنون من كل صوب وحدب قصد التبرك منه ، ولا سيما المرضى الذين وفدوا من بلاد نائية ومن الحدود الفارسية ، ونالوا الشفاء حال وصولهم الى الدير ودون أن يروه · وكم نفذت أنظاره الطرق القاصية حيث شفى كثيرين كان يراهم بالروح القدس كما كانوا هم أيضاً يرونه في الحلم · عندئذ دعته النعمة الآلهية الى رتبة القسوسية فرئاسة الدير ، ما حداه أن يزور المؤمنين في مختلف الأصقاع · ومن أجلّ أعماله في هذه الفترة ، تحريره كثيرين منهم من أسر الفُرس ·

هكذا ذاعت له في الشرق الأوسط شهرة مستفيضة ، حتى بلغت مسامع الملكة السريانية ثيودورة زوجة يوسطينيان الأول ملك الروم ، والحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، فتاق كل منهما الى رؤيته · ولا بدع ، فان لكل منهما حادثاً طريفاً هاما مع هذا

القديس • فثيودورة ، رأته في الحلم مراراً وتكراراً وبيديه كأس من ذهب يسقي منها جيوش الروم ماء الحياة • أما الحارث فقد انكشفت عن قبائله بدعائه محنة كبرى كما سيأتي[٤] •

الفصل الثالث

ظهوره للحارث بن جبلة

نحو سنة ٥٢٩ ملك الحارث بن جبلة على القبائل العربية الغسانية • وعاصمته بُصرى (اسكي شام) في حوران • وفي أوائل ملكه ، انتاب قبائله وباء وجوع وصنوف المحن • واذ كانت شهرة الراهب يعقوب البرادعي قد طبّقت الخافقين ، اعتزم الحارث زيارته علّ الله يصرف غضبه عن قبائله بصلاته • فاستصحب بعض الأمراء والأشراف ، وانطلقوا حاملين اليه مالاً وافراً • ولما اجتازوا نهر الفرات ليأتوا الى ديره ، ظهر لهم قديسنا في الفجر بزيّ نسكه ، وقال للحارث : لِمَ شككت يا هذا في هيبة الله العلي ؟ فعُد الى أرضك مع أمرائك ، وأطلق سراح رجل الله الراهب الطورسيني المعتقَل عند أحد أفراد قبيلتك ، فتنجوا حالا من شر البلايا التي انما انتابتكم بسببه ، ومنذ الساعة يُرفع عنكم الوباء كما طلبت من أجلكم الى الله • أما المال الذي حملتموه الينا ، فليعُد معكم ، اذ لا رغبة لنا في اقتناء شيء سوى محبة الله • فذهل الحارث ومرافقوه من هذا الحدث الغريب ، وعادوا توّاً الى أرضهم • ولما بلغوا قبائلهم ، ولاحظوا زوال الوباء عنها ، سألوا عن ساعة زواله ، فتأكدوا من أنها ساعة التقائهم مار يعقوب بالذات • ثم فتّش الحارث عن الراهب الطورسيني حتى وجده

---

٤ ـ عن سيرته المطولة •

معتقلاً في خيمة أحدهم ، فحلّه وأرسله الى ديره باكـرام جزيل ، وأمر فحزّوا رأس معتقله ·

بعد هذا الحادث العجيب ، كـان الحارث يجلّ مـار يعقوب ويتوق دوماً الى رؤيته والتمتع بحديثه الروحي الطلي[٥] ·

الفصل الرابع

شـخوصـه الى القسـطنطينية

مئات من الرهبـان والأساقفة الأرثوذكسيـين ، شخصوا من مختلف المنافي الى القسطنطينية سنة ٥٣٣ بأمر القيصـر يوسطينيان الأول ، لبحث قضايا الايمان في مؤتمر يجمعهم مع الخلقيدونيين[٦] · وكان بينهم البطريرك الانطاكي مار سويريوس الكبير بالـذات ، الذي لبى دعوة القيصر في شتاء سـنة ٥٣٥ ، ولكنه عاد بعـد سنة ونصف الى مصر يائساً ، اذ رأى أن لا فائدة من بقائه هناك لطالما لا يتنازل الخلقيدونيون عن رأيهم قيد شعرة ، اغترارأ بانحيـاز القيصر الى جانبهم[٧] ·

وفي ٦ شـباط سـنة ٥٣٨ توفي مـار يوحنـا التلي النائب البطريركي العام ، في سجن الخليقيدونيين بانطاكية · وبعد يومين جاور ربه في مصر مار سويريوس الانطاكي أيضاً ، الأمر الـذي ضاعف حزن الكنيسة الأرثوذكسية وبالـغ في تشويش أمورهـا ، لا سـيما وقـد دُعي الى القسـطنطينية البابا مـار ثيودوسيوس

---

٥ ـ المصـدر عينـه ·

٦ ـ تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٨٢ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٧٨ ومدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٧٠ ·

٧ ـ نفح العبير او سيرة البطريرك مار سويريوس الكبير للمؤلف ص ١٤٨ ·

الاسكندري أيضاً • وفي سنة ٥٤٣ اختارت النعمة الآلهية الراهب يعقوب البرادعي ليشخص الى القسطنطينية . لتشجيع الآباء القديسين والمؤمنين • بل ظهر له في الرؤيا مار سويريوس ومار يوحنا التلي المشار اليهما ، وسلّما اليه عصا الرعاية قائلَين : قم وامضِ مع جماهير المؤمنين وارعَ خرافنا وصنها من الذئاب • فحمل انجيلا صغيراً وشخص مشياً على الأقدام الى القسطنطينية • وصحبه من ديره راهب متبحر في العلوم وقديس اسمه سرجيس • وما أن بلغا العاصمة ، حتى انتشر فيها الخبر « ان قد أتى الأب يعقوب » • فلما انتهى أمرهما الى ثيودورة . رحّبت بهما ترحيباً حارّاً ، وخصصت لهما منزلا وكل متطلبات الراحة •

واذ كان الراهب يعقوب فصيحا . أديباً . حاذقا ومتبحراً في اللغتين السريانية واليونانية كما أسلفنا . لم يستطع الصمود أمامه زعماء الخلقيدونيين ، في أثناء احتكاكه بهم وتبادله واياهم وجهات النظر في مؤتمرهم الآنف الذكر . لكنهم ولّوا هاربين • اذ افتُضح غشهم بشدة . ازاء أدلته الساطعة على حقيقة الايمان • ذلك كان للأساقفة والرهبان والأكليروس والمؤمنين الغيارى على المعتقد القويم . والذين كانوا قد سبقوه الى القسطنطينية . مدعاة الى الافتخار بمار يعقوب . بل حافزاً للحارث بن جبلة بالذات الى الشخوص الى العاصمة(٤) •

هكذا كان شخوص مار يعقوب الى القسطنطينية نصرة للمعتقد القويم وعضداً للمؤمنين •

الفصل الخامس

رسامته مطراناً مسكونياً

في سنة ٥٤٣ كان عدد المؤمنين في سورية . قد تقلّص من جراء الاضطهادات العنيفة التي أثارها الخلقيدونيون عليهم • بل لم يبق في سورية كلها ولا اسقف أرثوذكسي لرعاية المؤمنين الصامدين • وكان هنالك ثلاثة أساقفة سوريين يقومون بعيداً بالخدم الرعوية ، الواحد في جبل ماردين ، والآخر في الحدود الفارسية ـ الرومانية وهو قاريس اسقف سنجار ، والثالث كان قد شخص الى الاسكندرية • لذلك ، وبعد أن تدارس الحارث بن جبلة ملك الغساسنة وبعض الآباء في القسطنطينية وضع كنيسة سورية المؤلم ، التمسوا من مُحبة الله الملكة ثيودورة أن تأذن في رسامة اسقفين أو ثلاثة لسورية • ذلك أن البابا مار ثيودوسيوس الاسكندري الذي كان موقوفاً في القسطنطينية . يقطن وغيره من الآباء صرح الملكة المنيف في حماها ، لم يجرؤ على رسامة أساقفة مذ غادر كرسيه • واذ أذنت له ثيودورة في ذلك ، انتخب والآباء الذين معه ، الراهبين مار يعقوب البرادعي ومار ثيودور ، ورسم الأول مطراناً على مدينة الرها وسائر سورية وآسيا الصغرى ، والثاني مطراناً على بُصرى (اسكي شام) وبلاد العرب وفلسطين حتى أورشليم • وكان ذلك سنة ٥٤٣ نفسها[٨] • وقلّد مار يعقوب المتروبوليتية المسكونية • وفوّض اليهما قبول المرتدين الى الأرثوذكسية في الشرق كله •

---

٨ ـ ذكر الافسسي ان ذلك تم بعد مجيئه (الافسسي) الى القسطنطينية بخمس عشرة سنة • أما مجيء الافسسي فكان سنة ٥٢٨ م (راجع سير النساك الشرقيين ج ٢ ص ٤٩١) أو السنة السادسة عشرة لملك يوسطينيان (ج ٢ ص ٤٩٩) •

وبعد أن عاد كل منهما الى أبرشيته ، تسلّح مار يعقوب بتقوى الله ، وأخذ يجوب البلاد • فكنت تراه تارة في سورية ، وطوراً في بلاد أرمينية وقبدوقية وقيليقية وايسورية وبمفيلية ولوقانيــة وفريجيــة وقارية ، وجــزر البحــر : قبرص ورودوس وخيوس وميطولينا حتى القسطنطينية ، متفقدا الكنائس ، مثبتا اياها في الايمان الحق ، مرتباً أمورها وراسما لها كهنة وشمامسة • فاستطاع بذلك أن يوّسع الأرثوذكسية •

واذ رأى حاجة الكنيسة الماسّة الى عدد من أساقفة ، وتبيّن القانون البيعي الذي يمنع رسامة أسقف دون حضور ثلاثة أو أربعة أساقفة ، لذلك وبعــد أن تباحث وأهــل الرأي في هذا الأمــر ، استصحب الى القسطنطينية راهبين مشهوداً لهما بالفضيلة وهمــا قنون وأوجين ، ليُرســما أسقفين معاونين • وبعد أن قابل مــار ثيودوسيوس الاسكندري وأفضى اليه بأحوال الكنيسة ، أخذ منــه كتاب توصية بذلك الى أساقفة مصر ، وشخص الى الاســكندرية • وفي الاسكندرية أقام مع أساقفــة مصر الذين دهشوا مــن خشونة نسكه • ذلك أنه لم يتخذ له مركوبا للطريــق ولا مزوداً أو نحاساً أو كيساً ، وفقاً لما كان قد أمر به مــار ثيودوسيوس • ثم اجتمع الأساقفة ورســموا الراهبين قنون وأوجــين أسقفين ، الأول على مدينة طرسوس قيليقية والثاني على مدينة سلوقية • ثم رســموا اثنين آخرين لسورية همــا انطون وانطونينوس • وعــاد بعدئذ الــى ســوريــة[٤] •

وهنا لا بد لنا من القول ، ان الدكتور أسد رستم لم يتمالك أن باح بسرّ أصحابــه حــول هذه القضيــة قائلا : « وتسابــق سويريوس الانطاكي ويوحنا التلاوي الى حياض المنية ، فتوفي الأول في الثامن من شباط سنة ٥٣٨ وسبقه الثاني بيومين لا ثالث لهما • وكان انتيموس الطرابزوني (يعني البطريرك القسطنطيني) لا

يزال مختبئا في حمى ثيودورة وكذلك ثيودوسيوس بطريرك الاسكندرية السابق فانه كان مبعداً في تراقية لا يستطيع القيام بأي عمل روحي · فلاحت بارقة أمل للامبراطور وكبار رجال الكنيسة الأرثوذكسية (يعني الخلقيدونيين) في الشرق والغرب معا ان تنقطع حبال السلطة المونوفيسية فيجيء يوم يُصبح فيه المونوفيسيون بدون رؤساء روحيين يدبّرون أمورهم »[9] · أجل ، بهذه الوسيلة الدنيئة حاول الخلقيدونيون القضاء على الكنيسة · بيد أنهم أخفقوا ، لأن الله رب الكنيسة كان لهم بالمرصاد ·

الفصل السادس

علاقة الحارث بن جبلة بـه وبكنيسته

قال الدكتور أسد رستم : « ويرى ثيودور نولدكه مؤرخ الغساسنة أنه ليس ثمة من أساس تاريخي للعلاقة الأولى بين الحارث الغساني وبين يعقوب البرادعي مؤسس الكنيسة السريانية القائلة بالطبيعة الواحدة التي تدعى أحيانا كنيسة اليعاقبة · ومما يذهب اليه نولدكه أن بعض رجال الاختصاص صبغوا هذه العلاقة بمسحة من الاعجاز لا تتفق والواقع التاريخي · ويؤكد هذا العلامة أن الحارث ابن جبلة لم يرحل الى القسطنطينية في هذه الحقبة وان ما جاء من هذا القبيل في كلام المتقدمين والمتأخرين هو خطأ فاضح »[10] ·

قلنا : أولا ـ ان أسد رستم سبق أن قال : « وتفيد المراجع الأولى أن الحارث ابن جبلة الأمير الغساني اتصل بثيودورة سنة

---

٩ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٧٦ ·

١٠ ـ فيه ص ٣٧٧ ·

٥٤٣ ورجاها أن تعيّن أسقفا يرعى شعبه . فأحالت الامبراطورة طلبه على ثيودوسيوس الاسكندري فسام هذا ثيودوروس رئيسا على أساقفة بُصرى ويعقوب البرادعي أسقفا على الرها ومتروبوليتا مسكونيا » . فما باله إذن يحاول هنا نتض ما سبق فأثبته بالبرهان ؟ ومع هذا فاننا نقول : اذا عنى نولدكه علاقة خاصة بين الحارث الغساني وبين مار يعقوب البرادعي ، ففي ما كتبه عنها المؤرخ المعاصر لهما مار يوحنا الافسسي الكفاية لاثباتها . ويوحنا الافسسي هو من عرفت ، تلميذ مار يعقوب ومؤرخ سرياني ثقة . فقد سرد لنا بكل أمانة خبر الوباء الذي انتاب الغساسنة بعد سنة ٥٢٩ م وشخوص الحارث بن جبلة الى مار يعقوب علّ الله بدعائه يصرف غضبه عن قبائله ، وظهور مار يعقوب له في الفجر على ضفة الفرات ، وزوال الوباء المشار اليه بدعائه كما مر معنا . فاذا كان هذا المؤرخ المعاصر للحارث قد صبغ علاقته مع مار يعقوب بمسحة من الاعجاز لا يتفق والواقع التاريخي كما يدّعي حضرته . فمن ذا الذي سيصدّقه هو وقد عاش بعد الحارث بألف وأربعمئة سنة ؟ ولِمَ ترى لم يعترض على هذه الرواية الذين جاؤوا بعد الافسسي ؟ واذا عنى علاقة الحارث بكنيسة يعقوب . فالأمر فيها أيضا واضح لا يحتاج الى برهان . ذلك ان الحارث وجميع الغساسنة كانوا يومذاك على معتقد هذه الكنيسة . وإلا لما رُسم أهم مار ثيودور مطرانا مع مار يعقوب البرادعي وبناء على طلب الحارث نفسه . وقد حدّثنا مار ميخائيل الكبير بأن هؤلاء العرب المسيحيين كانوا يمقتون المجمع الخلقيدوني حتى انهم لم يؤاكلوا أتباعه . فتوجه افرام الآمدي (بطريرك انطاكية الدخيل) بأمر القيصر (يوسطينيان) لزيارة ملكهم الحارث بن جبلة . ولما قابله . سأله قائلا : ما بالكم تمقتوننا والكنيسة . فأجابه الحارث : اننا لا نمقت كنيسة الله لكننا نبتعد عن الشر

الذي أدخلتموه على الايمان . وذلك بعملكم رابوعا بدلا من الثالوث ، وبضغطكم على الناس ليكفروا بالايمان الحق • فقال افرام : هل من العدل واللياقة أيها الملك أن يُحرم مجمع عدد أعضائه ٦٣٠ أسقفا ، ويُقبل أولئك القليلون وهم هراطقة ؟ فأجابه الحارث : اني رجل بدوي (بربري) وعسكري ، ولم أقرأ الكتب ، ولكني آتيك بالبرهان التالي : اذا أمرت عبيدي أن يُعدّوا مأدبة لجنودي . ويملأوا المراجل لحم الخراف والثيران الطاهر ويطبخوه • فاذا حدث ووجدت فيها فارة صغيرة . بحياتك قل لي أيها البطريرك هل سيتنجس كل ذلك اللحم النقي من تلك الفارة أم لا ؟ فأجاب بلى • فقال الحارث : فاذا تنجس لحم كثير من فارة صغيرة نجسة ، فكيف لم يتنجس مجمع الذين سلّموا بالبدعة النجسة حين كتبوا موافقتهم على طومس لاون الفارة الصغيرة ؟ واذ عجز افرام عن الجواب ، أخذ يُلح عليه ليتناول من قربانه • فقال له الحارث : اجلس اليوم الى المأدبة معنا • فأمر عبيده باللغة العربية أن يضعوا على المائدة لحم الجمل وحده • ولما فعلوا . سأل الحارث افرام أن يبارك المائدة فأبى • فأكل الحارث كعادته • فقال له افرام لقد نجستم المائدة بوضعكم لحم الجمل عليها • فقال الحارث وما بالك إذن تضطرني الى تناول قربانك وأنت تتنجس من طعامي ؟ فاعلم جيداً أنه بقدر ما تكره أنت لحم الجمل هذا الذي نأكله نحن ، بهذا المقدار نكره نحن قربانك ، لاحتوائه على الكفر وعلى نبذ الايمان القويم • فخجل افرام وبرح المكان دون أن يتمكن من أن يُضلّ الحارث[11] • أما أسد رستم فاكتفى بقوله : « ويقول ميخائيل المؤرخ السرياني ان افراميوس ••• قصد الحارث ابن جبلة وحدّثه في الموضوع نفسه (بتقبل المجمع الخلقيدوني) ولكنه عجز عن اقناعه »[12] •

---

١١ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير ص٣١٠و٣١١والمجلة البطريركية ـدمشقـ السنة ٦ ص ٣٦٣و٣٦٤•

١٢ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٢٧٥ •

ذلك كان شأن الحارث بن جبلة • أما ابنه المنذر فلم يكن أقل منه تحمسا للأرثوذكسية • حتى ان يوسطينوس الثاني قيصر الروم (٥٦٥ ـ ٥٧٨) أرسل كتابا الى القائد موريقي يأمره فيه بقتله ، وأرسل الى المنذر كتابا آخر ليشخص الى موريقي كي يفاوضه في أمور هامة • بيد أن الحيلة انكشفت بدون قصد ، اذ وُضع كتاب كل منهما ضمن مغلف الآخر خطأ • وهكذا استلم المنذر من رسول القيصر الكتاب الذي يأمر بقطع رأسه . ما جعل القبائل العربية أن تتسلح وتسهر ليل نهار على ملكها . متأهبة لتقاتل كل الروم الذين سيأتون اليهم • وكل من بلغه خبر هذه المكيدة الشنيعة على المنذر ، استنكرها ، حتى تصاعدت ضجة الاستنكار الى القيصر الذي سأل رؤساء الشرق وقواده ليتوسطوا لدى المنذر من أجل المصالحة • بيد أن المنذر أبى ذلك قائلا : « ثقوا أنني سأقاوم بالقوة كل من يأتيني من قبل الروم ، وليس بيننا سوى السيف • فاما يقتلونني أو أقتلهم • وقاني الله من الثقة باي رومي كان ، فأنا مستقلّ عنكم وعن امبراطوركم »[١٣] •

وفي سنة ٥٨٠ وشى موريقي بالمنذر الى القيصر طيباريوس للايقاع به[١٤] . لا لشيء الا لحمايته اخوانه الأرثوذكسيين القائلين بالطبيعة الواحدة[١٥] • قال الدكتور أسد رستم : « ظلت سلطات الروم حاقدة حائرة في أمر هذا الأمير • ولعل السبب في هذا يعود الى الفارق المذهبي وتوتر الأعصاب • فالعاصمة وأمهات المدن ••• نظرت شزراً الى سياسة التساهل مع اليعاقبة (كذا) وتاقت الى تجريد كنائس هؤلاء من حماتها ، فصدرت أوامر مشددة الى

---

١٣ ـ راجع المجلة البطريركية ـ دمشق ـ السنة الأولى ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ نقلا عن كتاب « العرب المسيحيون في ما بين النهرين وسورية في القرن السابع حتى الثامن » بقلم الأب فرانسوا نو الفرنسي •

١٤ ـ تاريخ ج ٣ سفر ٣ رأس ٤٠ •

١٥ ـ الروم للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٢٠٥ •

مغنوس حاكم سورية بالقبض على هذا الأمير العربي ، فألقي القبض عليه وأرسل مخفوراً الى القسطنطينية »[١٦] • أما المؤرخ مار يوحنا الافسسي المعاصر للحادث ، فحدّثنا بالتفصيل عن الخيانة التي أتاها مغنوس الذي كان صديقا حميما للمنذر ، وبحكم هذه الصداقة ركن اليه المنذر وتوجه اليه الى حوارين ، مجردا من السلاح والحرس ، فقبض عليه ضاربا بالصداقة عرض الحائط[١٧] • وفي سنة ٥٨٢ ملك موريقي فأمر بابعاده الى صقلية • وفي سنة ٥٨٤ استهان ابنه النعمان بنفسه وشخص الى موريقي الذي رحّب به وأقسم له بأنه اذا قاتل الفرس أطلق سراح والده • وسأله أن يشترك مع الخلقيدونيين ، فاعتذر قائلا : ان جميع القبائل العربية هي أرثوذكسية ، فاذا اشتركت مع الخلقيدونيين قتلوني • ومن جراء هذا اشتدت كراهيته له • ولما خرج النعمان أقسم بأنه سوف لن يرى وجه الروم باختياره • فبلغ الروم هذا الكلام ، فقبضوا عليه وألحقوه بوالده • فانقسمت دولة العرب الى خمس عشرة فرقة ، انضم معظمهم الى الفرس وبعضهم الى الروم (الخلقيدونيين) • وهكذا انقرضت دولة العرب المسيحيين بسبب كيد الروم ، وأخذت الهرطقة تتغلغل بين صفوف العرب[١٨] • أما أسد رستم فحين يستعرض هذا الحدث التاريخي يقول : « طلب موريقيوس الى النعمان أن يحارب الفرس معه وأن يعتنق الأرثوذكسية (يعني الخلقيدونية) فأجابه النعمان أن جميع قبائل طي يعاقبة وانهم يذبحونه ذبحا ان هو تقبّل قرار « المجامع » • فغضب موريقيوس وأمر بسجنه ثم ألحقه بوالده »[١٩] • ان عبارة « ان جميع قبائل طي هي يعاقبة » ليست

---

١٦ ــ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٩٦ •
١٧ ــ تاريخه ج ٣ سفر ٣ راس ٤١ •
١٨ ــ فيه ج ٣ سفر ٣ راس ٥٦ •
١٩ ــ الروم ج ١ ص ٢٠٦ •

من كلام النعمان بل من مخيلة أسد رستم الخصبة المتجنية على حقائق التاريخ . أما كلام النعمان فهو « أن جميع القبائل العربية هي أرثوذكسية » كما ذكر مار يوحنا الافسسي الشهير المعاصر لهذا الحادث ، وعنه نقل مار ميخائيل الكبير وابن العبري والمستشرقون. ذلك ان « طي » ليست قبائل بل قبيلة واحدة . وان لفظة « طيويي » السريانية لاتعني قبيلة طي وحدها بل العرب على الاطلاق . كذلك لم يقل النعمان أنهم يذبحونه ان هو تقبل قرار « المجامع » بل اذا اشترك مع الخلقيدونيين أي اذا قبل المجمع الخلقيدوني ، لأن المجامع الثلاثة السابقة لهذا المجمع كانت مقبولة لديهم .

ثانيا — لم يكن مار يعقوب البرادعي مؤسسا للكنيسة السريانية القائلة بالطبيعة الواحدة . بل أحد أبنائها وأبطالها ليس الا . فقد كانت الكنيسة مؤسسة قبله بل منذ العصر الرسولي . كيف لا وقد أثبتت وجودها ابان انقسام الكنيسة المسيحية سنة ٤٥١ . كما أن بطاركتها : بطرس الثاني المعروف بالقصار (٤٦٨ — ٤٨٨) وبلاديوس (٤٨٨ — ٤٩٨) وفلابيانوس الثاني في أول أمره سنة ٤٩٨ وسويريوس الكبير (٥١٢ — ٥٣٨) سبقوا قيام مار يعقوب الذي ولد سنة ٥٠٠ ورسم مطرانا مسكونيا سنة ٥٤٣ كما أسلفنا .

ثالثا — أما ذهاب الحارث الى القسطنطينية ، فقد ذكره الافسسي المعاصر له كما مر معنا .

الفصل السابع

زيـــاراتـــــه الـرعـويـــة

قام مار يعقوب بزيارات رعوية متواصلة للمؤمنين في جميع أرجاء الامبراطورية البيزنطية ، من حدود المملكة الفارسية حتى القسطنطينية فالاسكندرية وما جاورها من البلدان • وكان يقطع في اليوم الواحد ما بين الثلاثين والأربعين ميلا ، مشيا على الأقدام ، حتى مثّله المؤرخـون بعسائيل[20] بن صروية خفيف الرجلين ، كأنه ظبي" من ظباء الصحراء[21] • وفي تلك الزيارات الرسولية ، أقام الصلاة للمؤمنين ليل نهار ، وعالج أمورهم الروحية بأناة وصبر جميل ، مشجّعا ومعزّيا ومعلّما ، الأمر الذي أغاظ الأساقفة الخلقيدونيين الذين تنمروا له وتعقّبوه في جميع البلاد وهم يحرّقون عليه الأُرّم ، علهم يظفرون به ، ولو تسنّى لهم ذلك لشطروه • بيد أن النعمة الآلهية سترته عن أبصارهم • ذلك بأنه ما كاد يصل الى المضطهِدين خبر وجوده في مكان ما ، حتى يكون قد أنهى مهمته في مكان آخر • وهكذا كان المضطهِدون ـ وكأنهم يصارعون الهواء ـ يَعْدُون يمينا وشمالا ، ثم يعودون بخفي حنين وهم يجرّون أذيال الخجل •

ولم يستعمل في أسفاره مركوبا ، ولا حمل ذهبا أو فضة أو نحاسا أو طعاما • بل لم يأذن في ذلك حتى لمرافقيه ، رغم تلك المسافات الشاسعة التي كان يقطعها كل يوم بسرعة هائلة وهو صائم • ذلك أن العناية الربانية سندته ورفدته بصحة النفس

---

٢٠ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري ج ١ عمود ٢١٧ •

٢١ ـ ٢ صم ٢ : ١٨ •

والجسد ، فاستطاع بجهاده المرير وهمته الشماء ، أن يضيف كل يوم الى المؤمنين عدداً جديدا من اليونان والسريان في شتى البلاد ، ما آلم خصوم الكنيسة الذين جندوا للقبض عليه كل طاقاتهم واستنفروا كل أجهزتهم بما فيها فرق الخيالة • ومن العجيب الغريب أن يلتقوه في الطريق ويسألوه عنه وهم يجهلونه قائلين : « هل بلغك أين هو ذلك المضل يعقوب » ؟ فيدلّهم هو بدوره على مكان بعيد قائلا : « أجل . لقد بلغني أنه في المكان الفلاني ، فاذا أغذذتم السير أدركتموه » • والأنكى . أن يوسطينيان الأول بالذات ، خصّص مبلغا معتبراً من المال لمن يلقي القبض عليه • فتبارى في هذا المضمار كثيرون من الأساقفة والرهبان والعلمانيين الخلقيدونيين ، وقبض منه كل منهم مبلغا يتراوح ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ دينار ،ولكنهم بعد الأين والاعياء ،وهم يفتشون عنه في القفار والجبال والمدن والقرى . باؤوا بالفشل الذريع ، اذ لم يستطيعوا التوصل الى معرفة عمل الله في مصطفاه[٢٢] !

الفصل الثامن

قيامه برسامة مطارنة

لقد مر معنا ، ان مار يعقوب شخص سنة ٥٤٣ الى مصر حيث رسم بمعاونة أساقفة مصر ، أولا قنون مطرانا لطرسوس قيليقية وأوجين لسلوقية ايسورية (السويدية) ، ثم مطرانين آخرين أسورية هما انطون وانطونينوس[٢٣] • وعقب عودته الى سورية ، قام برسامة عدد آخر من المطارنة لبعض ابرشيات سورية المترملة ، يعاونه في ذلك قنون وأوجين المشار اليهما • من ذلك ، انه انتخب

---

٢٢ ـ سير النساك الشرقيين للافسسي ج ٢ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٥ •

٢٣ ـ ان اسمي هذين المطرانين وردا في السيرة المطولة فقط وكذلك اسم مطران دارا •

راهبا من دير افتونيا (قنسرين) اسمه ديمط ورسمه مطرانا لأبرشية اللاذقية . وراهبا آخر من دير مار بوزي اسمه يوحنا ورسمه مطرانا لأبرشية سلوقية سورية . وراهبا من دير مار باسوس (حمص) اسمه يوحنا ورسمه مطرانا لأبرشية قنسرين . وراهبا من دير افتونيا اسمه سرجيس ورسمه مطرانا لأبرشية حرّان . وراهبا من دير مار حنينا اسمه يوحنا ورسمه مطرانا لأبرشية شورا .

بعد هذه الرسامات وفي سنة ٥٤٣ نفسها ، نهض مار يعقوب مع معاونَيه المذكورين الى القسطنطينية ، حيث رسم مار سرجيس التلي بطريركا لانطاكية . واذ توفي هذا سنة ٥٤٦ رسم سنة ٥٥٠ بولس الاسكندري خلفا له باسم بولس الثاني .

وفي القسطنطينية ، رسم مطرانا لأبرشية آمد اسمه أونوميوس ، كان في جملة المنفيين هناك من أكليروس آمد . وباذن مار ثيودوسيوس الاسكندري ، رسم اثنيعشر اسقفا معا لمختلف أبرشيات تبايس ومصر ، وعدداً وافراً من الأكليروس لها . ذلك أن ثيودوسيوس كان قد أبى القيام برسامة كهنة بعد مغادرته كرسيه .

ثم شخص مار يعقوب ومعاوناه ، للمرة الثانية ، الى آسيا الصغرى ، حيث رسم أربعة مطارنة هم : يوحنا الافسسي السرياني متلمذ الوثنيين ومن دير مار يوحنا آمد لأبرشية أفسس وسائر آسيا ، وبطرس أو فوتيوس لأبرشية أزمير ، ويوحنا لأبرشية برغما (برغاموم) ، وبطرس لأبرشية ترولّس (أو دوريليوم) ، وقشيش من دير يوحنا الأفسسي لأبرشية جزيرة خيوس . كما رسم اثنين آخرين لبلاد قاريا هما : بولس لأبرشية أفروديسيدا (افروديسياس)، ويوليان لأبرشية ألابندا . ومطرانا لأبرشية دارا هو القديس مار يوحنا من دير قرتمين(٢٣) .

وقد رسم معظم هؤلاء الأساقفة ورؤساء الأساقفة مع عدد وافر جداً من الاكليروس ، بحضور مار يوحنا الافسسي الذي شهد بهذا[٢٤] ·

ذكر الافسسي في سيرة مختصرة له ، أنه رسم ٢٧ مطرانا · بيد أن سيرته المطولة ذكرت ٨٧ أسقفا ·

الفصل التاسع

تسلمه كتاباً من القديس انتيموس القسطنطيني

مار انتيموس هو أحد أبطال الأرثوذكسية المغاوير · رُسم بطريركا للكرسي القسطنطيني في حزيران سنة ٥٣٥ ، ولكنه تخلى عنه في السنة التالية ليعيش مضطهَداً مع القديسَين مار سويريوس الانطاكي ومار ثيودوسيوس الاسكندري حبّاً بالعقيدة الأرثوذكسية ليس إلا ·

فلما بلغه ما أتاه مار يعقوب البرادعي عقيب رسامته مطراناً مسكونياً من أعمال مجيدة عزّزت الكنيسة المضطهَدة ، بعث اليه بكتاب جليل ، أطرى فيه سيرته النقية وأعماله الرسولية ، وأسدى اليه بعض النصائح الغالية التي في وسعها أن تعصمه عن الخطل في تدبُره وتصريفه لأمور الكنيسة ·

فبعد أن يستهلها بعبارة « إلى محب الله الابن الحبيب الروحي الأسقف يعقوب » ، يبيّن له أن كثيرين من الأخوة شهدوا له بأن سيرته التقوية تتفق ودقة الأعمال الانجيلية ، ولذلك فهو يفرح معه بما يفعل ناسباً اليه حسن سلوك أبنائه ·

ثم يوصيه أن يواصل العمل الذي اؤتمنه بحيث لا يعطي

---

٢٤ ـ سير النساك الشرقيين ج ٣ ص ٥٠١ ـ ٥٠٤ ·

للغرباء ولا لأهل البيت حجة واحدة للافتراء ، بل أن يعمل كل شيء بدقة وبمنتهى الفحص قائلا :

ما المنفعة من أن يعمل الانسان لثبات الايمان ، وهو يحطّم في الوقت نفسه قوة القوانين المقدسة التي بها يتعزز النظام البيعي ؟

ويحذّره من التفكير في جمع رعايا بدون روّية ولئن كانوا كثرة لا تحصى قائلاً :

ان ذلك إنما هو تفكير عالمّي يليق بأناس جسديين ٠

ويستشهد بقول الكتاب العزيز القائل : « لا تشتهوا كثرة البنين الذين لا تُرجى منهم فائدة ، فان واحداً هو أفضل من ألف » ٠ ويقول : حقاً ان الواحد النافع الذي يتقي الرب هو أفضل من الآخرين الذين ليسوا كذلك ٠

ويحذّره كذلك من التفكير في الاكثار من رسامة كهنة وتكديسهم لوقت طويل ، نظراً الى قلة الذين يقومون بالرسامة ، كجمع الثمار مثلا لوقت الحاجة ٠

ويستشهد ببنتي لوط اللتين أنجبتا أولاداً من زواج (شركة) غير لائق ومرذول ، فضحوا جهلهما ، قائلاً : « انهما لو أفضتا بما يدور في خلدهما إلى أبيهما قبل ذلك إذن لعلمتا أن الرب اللطيف بالعباد حين أباد العالم بأسره ، لم يترك أمر مواصلة الجنس البشري بدون عناية » ٠ ويردف : « انه لتفكير أناس غير مؤمنين لا يحسنون التفكير ٠ أما نحن فنؤمن بأن الرب لن يُهمل شعبه ولن يترك رعيته كقوله الصادق بأنه سيدّبر وينجيّ كنيسته إلى منتهى الدهر » ٠

بل يقول له بصراحة : انه لا يجوز رسامة كثيرين ، إلا ما تقتضيه الحاجة ٠ كما لا يجوز إعطاء هذه الكرامة لأناس قد

أبسلهم القانون ، أو الأذن في الخدمة جزافاً لبعض الاكليريكيين السابقين أعني بهم ذوي الزواج الثاني أو الذين قطعتهم الكنيسة وما أشبه ، لئلا نشترك في خطايا الآخرين ، وفقاً لوصية الرسول الذي يستأصل بحدة مثل هؤلاء ·

ويستطرد : « يجب أن نعرض عن الأدلة السمجة والعوائد الرذيلة السارية من جراء الاهمال ، جاعلين أنفسنا نماذج للآخرين بالدقة والعفة بالنسبة إلى هذه الأمور كما في السيرة النقية ·

حتى إذا رضي ربنا بهذا ، أنار قلب ملكنا الهادىء المنصور ، وهداه بالتمام إلى استئصال جميع الشكوك التي تمزق جسم الكنيسة والمسارعة في توحيد الأعضاء المنقسمة حاليا بالتعاليم النقية الرسولية المحررة عن الفساد الهرطوقي ، وأرشده إلى نبذ نفاق ثيودوروس (الموبسوستي) وهيبا (الرهاوي) ومن شاكلهما من الهراطقة وشجبه بقول صريح(*) ·

الفصل العاشر

رسامته سرجيس التلي بطريركاً لانطاكية

ولد سرجيس في مدينة تل موزل · ولما ترعرع انخرط في سلك الرهبنة ، واتسم بالعفة ، وعكف على الصوم والصلاة والسهر ، ولزم الصمت ، وحرص على صيانة النذر · كما أنه تبحر في العلوم ، وانكب على مطالعة الأسفار القدسية وتفاسير آباء الكنيسة ، حتى غدا فصيحا ذا لسان ذليق · وكان المؤمنون يبالغون في اكرامه[٢٥] ·

(*) الدروس السريانية للبطريرك افرام رحماني ج ٣ ص ٣٣ ـ ٣٥ ·

٢٥ ـ سير النساك الشرقيين ج ٢ ص ٤٨٧ ·

وفي سنة ٥٤٣ صحب مار يعقوب البرادعي الى القسطنطينية · ومع أنه كان يشارك مار يعقوب في الصوم والسهر والعبادة الدائمة ، الا أن فارقا كبيراً كان بينهما فيما يتعلق بالصمت وخشونة النسك اللذين كان لمار يعقوب فيهما القدح المعلّى · ذلك أن سرجيس كان منهمكا في مقابلة الجماهير الغفيرة الوافدة اليهما وفي تصريف أمورها[٢٦] · ولما رسم مار يعقوب مطرانا مسكونيا ، ظل هو في القسطنطينية ·

وقد أخبرنا الافسسي ، ان مار يعقوب بعد عودته من مصر ، نهض الى القسطنطينية ، حيث رسم بحضوره سرجيس بطريركا لانطاكية سنة ٥٤٣ نفسها · وكان يعاونه قنون وأوجين كما مر معنا · فقام بأعباء رئاسة الكنيسة خير قيام ، معلّما ومشجّعا وبانيا ومثبّتا الجميع في الايمان الحق مدة ثلاث سنوات · وفي سنة ٥٤٦ جاور ربه في القسطنطينية نفسها[٢٧] ·

ومن تلاميذه ،أثناسيوس ابن ابنة الملكة ثيودورة ·كان قد تتلمذ أولا لأمونطيوس الراهب الرهاوي المعروف · فلما توفي أمونطيوس أخذه مار سرجيس واعتنى بتهذيبه · وهو الذي ورث كل ما كان لسرجيس في القسطنطينية[٢٨] ·

الفصل الحادي عشر

الفصـــول الثـلاثـــة

من أجل الأحداث التي تحققت بعيد رسامة مار يعقوب البرادعي مطرانا مسكونيا (٥٤٤ ـ ٥٤٥) ، هو إقدام أئمة الخلقيدونيين على شجب مصنفات أساطين النسطرة : ثيودوروس

٢٦ ـ فيه ج ٢ ص ٤٨٩ و ج ٣ ص ٥٨٣ ·
٢٧ ـ فيه ج ٢ ص ٤٨٧ و ج ٣ ص ٥٠٢ و ٥٨٧ ·
٢٨ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٤ وتاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٤٢ ·

المصيصي (الموبسوستي) ، ثيودوريطس القورشي وهيبا الرهاوي الذين كان المجمع الخلقيدوني قد اعتبرهم أرثوذكسيين ، وقبل الأخيرين عضوين بارزين فيه ، دون حرم هذه المصنفات الموبوءة التي كانت معروفة يومذاك لدى المؤمنين . ويعود الفضل في هذا ، الى ثيودوروس اسكيذاس أسقف قيصرية قبدوقية .

ففي سنة ٥٤٤ كان ثيودوروس هذا قد نال حظوة لدى القيصر يوسطينيان ، حتى أضحى أشد المستشارين أثرا في نفسه[٢٩] . وذلك لغزارة علمه وتقواه . وكان أرثوذكسيا ، عالما بوجود الشطط التي ارتكبها أعضاء المجمع الخلقيدوني . لذلك أخذ يرسخ في ذهن يوسطينيان الأدلة الدامغة على عدم قانونية هذا المجمع . منها تورّطه في احتضان أساطين النسطرة المار ذكرهم ، دون أن يحرموا مصنفاتهم[٣٠] . ولفت نظره الى امكانية كسب اللاخلقيدونيين بشجب هذه المصنفات[٢٩] . فانتبه القيصر الى ذلك الضلال الذي دخل الكنيسة خلسة . وسأل ثيودوروس أن يوضح له ذلك . فأخبره بأن ثيودوروس المصيصي ، هو أبو البدعة النسطورية . وقد مات في هذا الضلال ، فاعتبره المجمع الخلقيدوني أرثوذكسيا بعد مماته . وأن ثيودوريطس القورشي ، كان قد ندّد بالمجمع الافسسي — المسكوني الثالث — وطعن بقداسة كيرلس الاسكندري وبصحة عقيدته ، وردّ على فصوله الاثني عشر حاربا أياها . ودافع عن آراء ثيودوروس المصيصي . أما هيبا فكتب رسالة مطولة الى ماري مطران فارس (أردشير) ندد فيها بالمجمع الافسسي وبمصنفات كيرلس الاسكندري[٣٠] .

بعد أن شاور يوسطينيان نفسه ، صوّب رأي ثيودوروس القيصري ، وأصدر ارادة سنية حرّم فيها تعاليم هؤلاء الثلاثة

---

٢٩ — كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٧٨ — ٣٧٩ .
٣٠ — الخريدة النفيسة للاسقف ايسيلورس ج ٢ ص ٦٦ — ٦٧ .

وسماها الفصول الثلاثة (٢٩) فكان هذا القرار من جهة طعنة نجلاء الى صميم المجمع الخلقيدوني • ومن الجهة الأخرى انتصاراً هائلا سجلته الكنيسة على الخلقيدونيين غب تقلّد مار يعقوب البرادعي أزمة أمورها •

ولكي يدرك القارىء الحصيف فداحة عقم تعاليم هؤلاء الأساطين الثلاثة ، نورد هنا بعضاً منها :

فثيودوروس المصيصي معلم نسطور قال : « واحد هو الاله الكلمة وآخر هو المسيح الذي يتأثر بالأهواء النفسية والشهوات البدنية ، ثم انفصل عن الشرور شيئاً فشيئاً • وبعد أن تبرر بأعماله وصار بلا لوم ، اعتمد كانسان بحت باسم الآب والابن والروح القدس • فاقتبل في عماده نعمة الروح القدس واستحق موهبة البنوة • فيُسجد له ـ بمساواة الصورة الملكية ـ في شخص الاله الكلمة • وبعد قيامته صار كاملا لا يخطىء » • وفي تفسيره للرسائل البولسية يعارض المسيح بافلاطون وماني وابيقورس ومرقيون ويقول : « فكما أن كلا من أولئك حين أعلن مبدأه جعل أتباعه يسمّون باسمه « افلاطونيين » و « مانويين » و «ابيقوريين» و « مرقيونيين » ، كذلك المسيح حين أعلن عقيدته دعي أتباعه « مسيحيين » (٣١) •

أما ثيودوريطس ففي رسالته الى رهبان الشرق يهجو كيرلس الاسكندري ويندّد بتعليمه ويطعن بالمجمع الافسسي • من ذلك قوله : « فصول كيرلس النفاقية » و « حقا أن الوالد الشرير يلد ولداً شرّاً منه » • وفي رسالته الى دومنوس الانطاكي التي كتبها بعد وفاة كيرلس سنة ٤٤٤ يقول : « بالكاد ومتأخراً جداً مات الانسان الشرير • ان الصالحين والعظماء ينتقلون قبل أوانهم أما الأشرار فيعمّرون طويلا » •

٣١ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٣٧ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص ٣٣ •

وفي كتاباته الأخرى ، يسمي السيدة العذراء « والدة الاله » و « والدة الانسان » « وينكر على كيرلس قوله « أن الله قد تألم وصلب ومات ، وأن الوحيد نفسه تألم وذاق الموت في الجسد »[٣٢] •

وأما هيبا فقد تجنّى سنة ٤٣٣ في رسالته الى ماري مطران فارس (أردشير) ، على العقيدة الأرثوذكسية ، متطاولا على كيرلس الاسكندري وفصوله الاثني عشر قائلا « انها مشحونة بالنفاق » و « مضادة للايمان القويم » وسمّى مار ربولا مطران الرها ب «الطاغية» • في حين انه امتدح ثيودوروس المصيصي وقال عنه : « المغبوط وكاروز الحق ومعلم الكنيسة ذو الايمان الحق ، الذي ترك لأبناء الكنيسة سلاحا روحيا في مصنفاته ، والذي لم يكتف بهديه مدينته من الضلال الى الحق ، لكنه علّم بمؤلفاته الكنائس البعيدة أيضاً ، وان كتبه ليست غريبة عن الايمان الحق» •

وكان يعترف « بالهيكل (أي الانسان) وبالساكن فيه (أي الاله) ابن واحد يسوع المسيح » [٣٣] !

هذا وقد أيّد الدكتور أسد رستم انحراف هؤلاء الثلاثة عن جادة الصواب قائلا : « ولا يخفى أن ثيودوروس الموبسوستي جعل من اتحاد الكلمة بالناسوت في المسيح مجرد سكنى وتلطف ومسرة Eudoxia لا اتحادا في الجوهر Ousia فأصبحت السيدة في نظره أم انسان Anthropolokos وأم الله Theotokos ! وأهم ما أخذ على ثيودوريطس القورشي اعتراضه على البند الثاني عشر من بنود كيرلس الاسكندري الذي نص على أن « أن الله الكلمة تألم وصلب ومات في الجسد » • أما إيبا الرهاوي فانه نقل تعاليم

٣٢ ـ تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٨٠ ـ ٨١ نقلا عن اعمال مجمع افسس الثاني بالسريانية ونبذة سريانية وضعت في النصف الثاني من القرن السادس بخصوص شقاق الانطاكيين بسبب عزل بولس الثاني •

٣٣ ـ فيه ص ٦٣ ـ ٦٥ نقلا عن اعمال مجمع افسس الثاني بالسريانية •

ثيودوروس الى السريانية وفنّد أعمال مجمع افسس في رسالة وجّهها الى ماري أسقف أردشير » ٠

وأردف أسد رستم : « وطلب يوستنيانوس الى جميع الأساقفة في الشرق والغرب معاً أن يوافقوه على شجب هذه المصنفات والأقوال٠ فتردد افراميوس بطريرك انطاكية مدة ثم وافق قبيل وفاته (٥٤٥) ٠٠٠ واستدعى البابا فيجيليوس الى القسطنطينية فحضر اليها وانتهى بالنزول عند إرادة الامبراطور فأنشأ رسالته المعروفة بالجوديكاتوم Judicatum وفيها شجب الفصول الثلاثة (٥٤٨) ولكن أساقفته انتقضوا عليه وعيّنوا له وقتاً للندامة ٠ فلبث فيجيليوس في القسطنطينية ورجع عن قوله في الجوديكاتوم[٣٤] ٠

الفصل الثاني عشر

رسامته بولس الثاني بطريركاً لانطاكية

في سنة ٥٤٦ انتقل البطريرك مار سرجيس الى دار الخلود ، فترملت بعده كنيسة انطاكية أربع سنوات ، كان خلالها مار يعقوب البرادعي وصحبه لا يهدأ لهم بال ولا تغمض لهم عين في تدارس أمر تعيين خلف له ٠ بل ان البابا ثيودوسيوس الاسكندري نفسه كان يفكر فيه تفكيراً جاداً ، حتى استقر رأيه أخيراً على كاتبه الأب بولس ٠ وقد أسرّ بذلك الى الحارث بن جبلة في القسطنطينية كما ذكر هذا الملك في رسالته الى مار يعقوب [*] والظاهر من الرسالة التي أنفذها مار يعقوب وصحبه الى مار ثيودوسيوس في أعقاب رسامة بولس المومأ اليه ، ان هذا ما كانوا يفكرون فيه هم أيضاً ٠ وكان بولس اسكندريا ٠ وفي

---

٣٤ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ٠

(*) الأسناد السريانية طبعة الأب جان شابو ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ٠

سنة ٥٥٠ قرر ثيودوسيوس تحقيق ما كان يجول في خاطره حول هذا الشأن ، فأوفد بولس الى مار يعقوب مع رسالة ، دون أن يكشف له عن فحواها . كما أرسل اليه مار أونوميوس مطران آمد أيضاً ليشترك معه في الرسامة ، محمّلا اياه رسالة أخرى بهذا الصدد ، دون أن يبوح لهذا أيضاً بالسر ٠

وقد عنون الرسالة الأولى باسم مار يعقوب البرادعي وأوجين وباقي أساقفة الشرق ٠ أما الثانية فوجّهها الى أساقفة الشرق ٠ وقال في الأولى : « انه منذ أن انتقل الى الله « المغبوط أخونا وشريكنا الراقد بين القديسين سرجيوس » لم يهدأ باله البتة من التفكير الجاد فيه ، لا لأنه حرم عشرته الكهنوية وتصرفه اللائق وحسب – الأمر الذي يكفي وحده لأن يولدّ فيه الحزن الشامل – بل أيضاً بالنظر الى وضع الكنائس المقدسة الراهن والى شيخوخته هو وضعف جسده الى حد أن يطير النوم من عينيه ٠ فهو كلما تطلع الى شعره وقد ابيض ودنا من الحصاد ، وفكر في مرض جسده ، ثم تأمل ترّمل مدينة الانطاكيين المحبّة للمسيح ، من راعٍ صالح وشرعي ، كلما قاربت نفسه من الانحلال منتظرة مجيء المسيح الرهيب والدينونة ٠ هذا فضلا عن خوفه من اشاعة الخبر لئلا يسبب الشدات والميتات وصنوف العذابات » ٠ وأخبرهم « بأنه أذن لابنه التقي الأب بولس رئيس الدير » في زيارة ديره المقدس[٣٥] لحل المشكلات البيعية التي ولدّها حينا في تلك المدينة أولئك الذين لا حاجة الى ذكر أسمائهم ٠ وقد أطرى تقواه وأكد انه ممتلك – بنعمة الله – قوة تؤهله لأن ينوب عنه في تدارس كل شيء معهم شرعياً وقانونياً حول القضية التي سبق فنوّه بها بطريقة سرية ، وذلك حرصاً على دعوة كنائس الله المقدسة ٠ كما أعلمهم بأنه كتب بهذا الى الأرمن أيضا ٠ وقد كان بودّه أن يرسل اليهم

---

٣٥ – كان ديره في الاسكندرية ٠

مار قنون للاشتراك في هذه الأمور ، لولا أن مانع في ذلك اثناسيوس[٢٦] وأقنعه بضرورة بقائه في القسطنطينية ، فاقتضى أن يرسل مار أونوميوس سرّاً ، والكل يظنون أنه خارج الى مزارع مار بطرس ، حيث اعتاد أن يمضي سنوياً بضعة أيام • وسألهم أخيراً أن يسلموا الرسالة بعد تلاوتها الى الذي ذكره أكثر من مرة باسم رئيس دير » (أرشمندريت) • وهو يعني به بولس المشار اليه •

أما الرسالة الثانية فأكد لهم فيها ما ذكره في الأولى من أنه « لم يكشف عن ذلك لأي أحد سوى كاتبها • وهذا أيضا بعد أن أقسم له بأنه لن يفشي السرّ • وانه انما فعل ذلك لكي يستطيعوا بعون الله تحقيق ماأوحت به اليه النعمة الالهية من العلاء» • وسألهم « أن يرسموا فوراً ، بفرح روحي مطلق وبنوع شرعي وبدون أي تردد ، التقي الاب بولس خلفا للطوباوي سرجيس بل للبطريرك سويريوس الذي انضم الى القديسين » • وبيّن لهم « انه سينتصب بالروح ويشترك معهم في كل ما يخص هذا الأمر » • وقال « انه لواثق بالله – وكذلك يودّ أن يكونوا هم أيضاً – من ان هذا العمل سيكون لمجد الله وكرامته » • وحثهم « أن يفعلوا هذا فوراً وسرّاً ، وكذلك الرسائل السلامية التي تعقب عادة الرسامة • أما هو فنظراً الى شيخوخته ومرضه والأفكار التي تقلقه في كل آن ، فقد أوفد اليهم عنه الصفي الأخ مار أونوميوس » وقال : « بما أنه لم يستطع أن يبوح بمضمون الرسالتين حتى للتقي رئيس الدير (بولس) ، لذلك فحين يدرك أونوميوس هذا الأمر فليشترك معهم » •

فلما تسلم مار يعقوب هاتين الرسالتين ، قام بدون أي تردد

٣٦ – هو الراهب اثناسيوس ابن ابنة الملكة ثيودورة •

برسامة الاب (الأرشمندريت) بولس الاسكندري ، بطريركا على انطاكية باسم بولس الثاني ، يعاونه في ذلك أوجين مطران سلوقية ايسورية (السويدية) وأونوميوس مطران آمد • وفي أعقاب الرسامة كتب ثلاثتهم بذلك الى البابا ثيودوسيوس الاسكندري ، رسالة حملها اليه أحدهم وهو مار أونوميوس جاء فيها قولهم : « ان المسيح الاله الذي افتدى بدمه كنيسته المقدسة ، وقال انه « على هذه الصخرة سيبني كنيسته ، وان امخال الهاوية لن تقوى عليها » ، هو نفسه يحقق الآن أيضا ، كالعادة ، الأعمال التي عُنيت بها غبطته (مار ثيودوسيوس) • ذلك انه بينما كانوا هم أنفسهم يفكرون منذ أمد بعيد في أن يقدموا اليه طلباً بهذا ، اذا بالعناية الربانية تشفع في كرسي مدينة الله الرسولي ، الى الله الساكن فيه ليكشف له عن الشخص الذي يستحق مثل هذا المنصب. كي يخلف سرجيوس الطيب الذكر رئيس احبار هذه المدينة المنتقل الى ربنا ، بل قل سويريوس المنضم الى القديسين معلم الكنيسة الجامعة » • وأردفوا : « وكان غبطته (ثيودوسيوس) التي تتحرك من الله ، سبقت فعاينت بعيني النبوءة طلبهم وهدفهم ـ الصفي بولس رئيس الدير ، ذا الرأي الحر ـ الذي أجمعوا عليه هم أيضاً نتيجة اختبار ، بانه يستحق هذا الكرسي الرسولي وقد أعلنوا بكل صراحة ان «قناعة ثيودوسيوس بأن هذا الصفي يستحق مثل هذا المنصب ، انما كانت من النعمة السماوية • من هنا تشجيعه اياهم بأنه سيشترك معهم في الرسامة • ومن هنا أيضاً تنفيذهم الفوري لما أمرهم به ، بمنتهى الفرح والانشراح ، ايمانا منهم بأن ما ارتآه هو من جهة هذا الصفي الاب بولس ، انما هو من الرب الاله ، فرسموه لكرسي مدينة الله العظمى الرسولي • وها هم يرفعون اليه تقريرهم حول هذه القضية التي تحققت لمشيئة الله ، لكي يثبتها هو الآخر بدوره وفقا لوعده » •

وقد وقّعها كل من المطارنة الثلاثة بدءاً من مار يعقوب البرادعي بالعبارة التالية :

«الاسقف يعقوب بنعمة الله · اني أجريت هذه رسامة بولس الصفي بطريركا ،مع الاسقفين الصفيين أوجين وأونوميوس ،وختمت بتوقيعي · كما وافق على الرسامة قنون أسقف طرسوس ويوحنا أسقف مدينة قنسرين ويوحنا أسقف افيروبوليس سلوقية وأسقفان آخران يدعيان سرجيس ويوحنا ووقّع كل منهم المحضر بالعبارة التالية :

« انه وفقاً للعرف المتبع والقاضي بأن يشترك من كان من ولاية مدينة الله ، في رسامة من أؤتمن الكرسي الرسولي ، أشهد بأن هذه الرسامة قد تمت شرعياً بواسطة يعقوب وأوجين وأونوميوس » ·

واذ حالت بعض العقبات دون حضور مار ثيودور مطران بصرى هذه الرسامة أو توقيع هذه الرسالة ، لذلك رأى أن يوجّه الى البطريرك الجديد كتاباً من القسطنطينية ، استهلّه بالعبارة التالية : « الى القديس في كل شيء ، والمغبوط ، الاب الروحي والملفان ، رئيس الأساقفة والبطريرك بولس » · وفيه أطرى مناقبه بهذه الكلمات : « لقد نفضت نفسه عنها المجد الباطل والخيال الفارغ والشرور ، وتطلع عقلها الى الله وحده ، لتهبط ساحة الاضطهاد مع شعب الله ، مفضلة الاهتمام بحياة الكثيرين على أمورها الخاصة » · كما أبدى ارتياحه لرسامته الشرعية بطريركا ، كمن كان حاضراً ومشتركاً قائلا : « انه قبلها فرحا بثبات أمن كنائس الله المقدسة » · واختتم رسالته آملا أن يتلألأ بالبطريركية نظير البطريرك القديس سويريوس معلم المسكونة جمعاء (ما تحت السماء كله) · ووقّعها باسم « ثيودوروس بنعمة الله أسقف من الولاية الشرقية » ·

أما البطريرك بولس الثاني ، فكتب فور رسامته رسالة سلامية الى مار ثيودوسيوس الاسكندري ، مستهلاً اياها بهذه العبارة : « سيدي القديس في كل شيء والمغبوط . رئيس الجهاد من أجل الحق ، والمعترف ، الأخ والشريك . رئيس أساقفة مدينة الاسكندرية العظمى ثيودوسيوس » • وقد سماه « مسكن الفضيلة بأسرها ، وعمود الايمان بالمسيح وأساسه ، وشهيداً ومعترفا ومعلم المسكونة جمعاء (ما تحت السماء كله) المتشبه بالله » • ومما جاء فيها قوله : « انه انخدع بالرسالتين اللتين حمّله اياهما مثلما انخدع اسحق بالحطب الذي حمّله اياه أبوه ابراهيم » • وأردف : « لقد كانت حيلة عليه ليرتقي رتبة البطريركية ، في حين انه لا يستحقها من جميع الوجوه أهمها حداثة السن ، ولا سيما في هذا الوقت بالذات الذي فيه تحيق بهم جماهير المحاربين » • واستطرد « ان حكمته (ثيودوسيوس) بالذات انخدعت به مثلما جرى مع صموئيل النبي • ومع هذا فانه يرجو الله أن يجعله مستحقاً لهذه الدعوة . لافتخاره (ثيودوسيوس) ولمجد اسم الله القدوس وكرامته » • وقال : « انه غُلب منه ومن أساقفة الشرق الأصفياء فصرف الخوف بالخوف ، واتخذ بعد حزن النفس عزاء من الطاعة الصالحة ورجاء طيبا . واقتبل رئاسة كرسي انطاكية الرسولي أي مدينة الله • وها هو يرسل اليه كتاب « الشلموث » (صك الايمان) بصفته ممثلا للكنيسة المقدسة جمعاء التي تحت سلطته ، طالبا منه كتابة يمين الشركة وفي شخصه من جميع البطاركة الأرثوذكسيين في كل مكان • لأن الله سلّم اليه عن استحقاق مقاليد الكنيسة المقدسة جمعاء ، اذ يستطيع بنعمة الله أن يشغل مكان هؤلاء الآخرين أيضاً • وهو يفعل هذا ، لا كمن لا يعرفه أو يُعرف منه ، بل بالعكس ،اذ منه قبل التعليم الرسولي الأبوي قولا وفعلاً ، وكان له مرآة للفضيلة • وانه ليرى جهاده وأعماله كما في مرآة • بيد أنه

يفعل هذا وفقاً لقوانين الكنيسة وشريعتها القاضية بأن الذين يرتقون الكراسي الرئيسية يجب أن يظهروا محبة بعضهم لبعض بالرسائل ، ويوضحوا علانية رأيهم في الرجاء الذي فينا • وهكذا يسلكون معا بوحدة الرأي والألفة هم ورعاياهم ، لكي يكون للجمهور المؤمن كله قلب واحد ونفس واحدة » •

وبعد هذه المقدمة ، سرد صورة ايمانه • فأجابه ثيودوسيوس برسالة سلامية رائعة ، مؤيداً فيها ومصدّقاً الرسامة التي تمت برضى الله قائلا : انه سيستمر في الشركة معه بدون انقطاع • ثم كتب الى مار يعقوب البرادعي وصحبه رسالة استهلها بالعبارة التالية : الى القديسين في كل شيء ، الأخوة والشركاء ، يعقوب وباقي الأساقفة الأصفياء الذين في الشرق» • وقال : «أنه تناول بواسطة الورع والأخ العام والشريك أونوميوس ، رسالتهم التي أنهت اليه خبر رسامة بولس الصفي بالمسيح ، راعياً ورئيس احبار لكنيسة انطاكية العظمى أي مدينة الله » • وأعرب لهم عن « سروره الروحي الحقيقي الجم بهذا الأمر ، الى حد أنه تنفس الصعداء واستعاد قوته بعد المرض الجسدي واهتز طرباً وأخذ يسبح بحمد الله » • وأردف : « أما أن يتقدم رجل كهذا هو عتيد أن يثبت كنيسة الله ، في حين اننا نُضطهد ونعذّب وقد بلغنا غروب الشمس ، فانما هو بالحقيقة عمل من يدّبر كل شيء بحكمته ويصرّف الأمور كل آن بحسب الحاجة وقد أسس كنيسته على الصخرة الحقيقية » • وأكد « ان بولس كفوء لأن ينقذ بنعمة الله سفينة الكنيسة ، وينتهر رياح البدع ، ويزجر بحر التعاليم النفاقية المالح المر • وان الروح القدس هو الذي اصطفاه • كيف لا وهو نفسه كان قد اختبره وعاين جهاده العنيف ، بل القاءه بنفسه في مخاطر من أجل الكنيسة • هذا فضلا عن انمائه بالتجارة الروحية الوزنة التي ائتمنه اياها الرب ، الأمر الذي

سجّلوه له هم أنفسهم وتطلعوا اليه كما الى من يستحق الكرسي الرسولي قبل أن يقرر هو ذلك ، كما أكدوا في رسالتهم • ومن كان كذلك ، فقد اقتبل الرسامة ولا شك من فوق من أبي الأنوار • ولذلك جاوبه على رسالته السلامية وفقاً للشرع الكنسي، مؤيداً ومصدّقاً الرسامة التي تمت برضى الله ، وقال انه سيستمر في الشركة معه بدون انقطاع » • وفي هذه الرسالة ، سمى مار سويريوس « أبونا المنضم الى القديسين والمصباح والملفان المسكوني »[٣٧] •

الفصل الثالث عشر

مكافحته بدعة تثليث الجواهر

مما يؤسف له حتماً، تشبّث بعض أعوان مار يعقوب البرادعي بآراء لاهوتية فائلة ، كانت سبباً في تصدّع صفوف الأرثوذكسية ، وعقبة كأداء في سبيل مسيرتها • ففي سنة ٥٥٧ ، ظهر في القسطنطينية مبتدع اسمه يوحنا استصناغيس ، علّم بتثليث الطبائع ، أي أن لكل من الأقانيم الثلاثة طبيعة خاصة ، ما حدا أحد مشايعيه وهو المعلم يوحنا فيلوفونوس الاسكندري أن يعلّم بتثليث الآلهة • ذلك أن هؤلاء المثلثين ، وجدوا في مصنفات آباء الكنيسة قولهم ، « ان كلاً من الأقانيم الثلاثة حين يؤخذ في العقل لوحده ، يعترف به بأنه آله وطبع وجوهر » • وإذ أشكل عليهم فهم هذه القاعدة الذهبية ، أخذوا يعلّمون بثلاثة آلهة وثلاثة جواهر وثلاث طبائع •

كان يوحنا من أفامية ، فتتلمذ في القسطنطينية لعالم سرياني من رأس العين اسمه صموئيل ـ بطرس • وكان هذا فاضلاً متبحراً

---

٣٧ ـ الأسناد السريانية طبعة شابو ص ٨٦ ـ ١١٤ •

في السريانية ومفسراً • وفي مدة عشرين سنة أتقن اليونانية وتمرّس في العلوم الطبيعية • فلزمه يوحنا الأفامي وأخذ عنه بعض العلوم الطبيعية • ثم تورّط في الأريوسية ، فوبّخه صموئيل ، فلزم الصمت • ولكنه بعد وفاة معلمه في القسطنطينية ، قام ليخلفه مدّعياً الفلسفة • ومثل بين يدي القيصر يوسطينيان • ولما سأله عن مذهبه ، أجاب أنه يعترف بعدد الطبائع والذوات والألوهات عدد الأقانيم • فغضب القيصر وقال لبطانته :

« ان مسيح هذا لوثني ، أخرجوه من أمامي » • فطردوه ، الأمر الذي جلب العار على الأرثوذكسيين جميعاً كقول يوحنا الأفسسي • والأنكى أنه صنّف كتاباً ادّعى فيه أن آباء الكنيسة قالوا قوله • فاستدعاه مار ثيودوسيوس الاسكندري ونصحه وأنذره • وإذ لم يرعوِ حرمه . ووضع مقالة نقض فيها سفاسف بدعته ـ الأريوسية الجديدة ـ فضلا عن بدعة سابيليوس القائلة بأقنوم واحد ذي ثلاثة أسماء ، وبأن الثالوث بكامله تجسد • أما يوحنا أسقصناغيس فمات بعد حرمه بمديدة ، وبالكاد وبعد التماس شديد ، أذن ثيودوسيوس في دفنه •

وممن شغف ببدعة تثليث الآلهة هذه ، أثناسيوس ابن ابنة ثيودورة المار ذكره ،الذي كان يجلّ يوحنا أسقصناغيس كقديس• ومن أمره ، أن يوسطينيان سأل مار ثيودوسيوس أن يرسمه قساً للاسكندرية ، فحلف هذا بأنه لن يقوم برسامة أحد خارجاً عن كرسيه • ولما توفي ثيودوسيوس سنة ٥٦٦ طمح أثناسيوس الى أن يخلفه في كرسيه • وإذ لم يُفلح ، أخذ ينمّي بدعة تثليث الآلهة هذه ، فانضم اليه قنون طرسوس قيليقية وأوجين سلوقية ايسورية

(السويدية) وقد وقع بيده « كشكول » البيّنات التي كان قد جمعها اسقصناغيس من مصنفات الآباء ، فبعث به الى الاسكندرية ، الى يوحنا النحوي (غرماطيقوس) ، الذي ألّف منه كتاباً أرسله الى اثناسيوس في القسطنطينية • فلما أحسّ به الاسكندريون حرموه وكتابه •

ومن جراء هذا الانقسام ، ارتد بضعة آلاف من الأرثوذكسيين الى الوراء ، وانضموا الى الخلقيدونيين قائلين : خير لنا أن ننضم الى القائلين بطبيعتين من البقاء مع القائلين بأربع طبائع •

في هذه الأثناء ، شخص الى القسطنطينية لمواجهة القيصر ، الحارث ابن جبلة الغساني ، حاملاً رسائل الايمان من مار يعقوب البرادعي والشرقيين ، تضمنت الاقرار بطبيعة واحدة وجوهر واحد للثالوث الأقدس ، والحرم لمن لا يمضيها • فأمضاها البطريرك بولس الثاني الانطاكي مع سبعة أساقفة • أما قنون وأوجين فرفضاها قائلين أنهما سيتدارسانها • فقال لهما الحارث : لقد تأكدت الآن من أنكما هرطوقيان • أما نحن وجيشنا فموافقون هؤلاء ويعقوب والشرقيين •

بعد هذا التقى مار يعقوب أوجين في قرية عربدس من أعمال مرعش فنصحه كثيراً لينفض وأشياعه أيديهم من هذه البدعة الوخيمة • وإذ أبى ، حرمه وأشياعه • وبعد مديدة نهض الى القسطنطينية مار ثيودور مطران بُصرى ورفيق مار يعقوب ، فزاره قنون وأشياعه • فسأله ثيودور عن هذا التعليم • فلم يُجب • فقال له ثيودور : ان كنتم لا تحرمون من يقول بتعدد الطبائع والجواهر في الثالوث الأقدس ، فأنتم منذ الآن غرباء عن الكنيسة • وهكذا عُزل هو الآخر •

وإذ فوّض مار يعقوب أمر الأرثوذكسيين الذين في القسطنطينية الى مار يوحنا الافسسي بعد وفاة مار ثيودوسيوس الاسكندري (٥٦٦) ، حسده قنون وأوجين على ذلك وكتبا مشنعين في حقه الى بلاد الشرق • بيد أن كذبهما افتُضح بعد حين • كما أنهما حذفا من الذبتيخا اسم مار يعقوب الذي رسمهما ، مدّعيين أن قد دب فيه الخرف والجنون • بل تجرأا أيضاً على عزله ورفاقه ، مع كونهما محرومين ومعزولين كما مر معنا •

فلما رأى المثلثون نفور الناس منهم ، مُثلوا سنة ٥٧٠ بين يدي القيصر يوسطينوس الثاني (٥٦٥ ـ ٥٧٨) والتمسوا منه أن يحاكموا على ما يُتّهمون به ، مدّعين زوراً أن سويريوس وثيودوسيوس بالذات ، اعتقدا بتعدد الطبائع والجواهر والألوهيات ، فضلاً عن مشاهير الآباء الآخرين • فأمر القيصر ويوحنا السرميني بطريرك القسطنطينية الخلقيدوني ألا يستشهدوا بأي من الآباء الذين يقبلهم الخلقيدونيون ، بل بمصنفات سويريوس وثيودوسيوس وحدها • وعلى هذا الأساس دعا بطريرك القسطنطينية الفريقين للتفاوض ، وأقام نفسه وأساقفته قضاة في هذا الأمر • فتجمهر ربوات من الخلقيدونيين ليشمتوا بالأرثوذكسيين • وترأس جانب مار يعقوب البطريرك بولس الثاني ويوحنا الأفسسي • وفي اليوم الأول ، انتصر جانب يعقوب إثر جدال عنيف ، وخرج جانب قنون يجرّ أذيال الخجل وفي اليوم الثاني أبى جانب يعقوب بحث القضية ما لم يستشهد بآباء الكنيسة بدون استثناء كما فعل قنون مستشهداً بآباء المجمع النيقاوي فضلا عن سويروس وثيودوسيوس • ثم حرموا من يقول بثلاثة آلهة دون أن يذكروا الجواهر والطبائع • وفي اليوم الثالث سألوا بولس الانطاكي ويوحنا الأفسسي ، اذا كان الثالوث بكامله

قد تجسد ، فنفيا ذلك بالحجج الدامغات . وفي هذا الاجتماع أبرزت وثيقة تيودوروس أحد أركان المثلثين الواردة فيها عبارة « أن لاهوت الابن هو غير لاهوت الآب » ، وبيان مار ثيودوسيوس الاسكندري الذي يحرم فيه هذه العبارة . ثم أرفض الاجتماع . وفي اليوم الرابع ، قدّم المثلّثون كتاباً ينسبون فيه الى سويريوس وثيودوسيوس القول بتعدد الطبائع والجواهر . فقدّم جانب يعقوب أيضا وثيقة مكتظة بشهادات الآباء . فلما بدأوا بقراءتها ووصلوا الى عبارة « ألانه ليس آله في اسرائيل ، تمضي الى بعلزبول آله عقرون » ، اعتبر بطريرك القسطنطينية ان الكلام موجه اليه فامتعض وأسكت القارىء وألغى الاجتماع .

والجدير بالذكر ، ان الخلقيدونيين كانوا يساندون المثلّثين علّهم يستميلونهم اليهم . وبعد مدة وجيزة انطفأت هذه البدعة[٣٨] .

الفصل الرابع عشر

أهم حدث كنسي في عهده

رأينا في ما سلف كيف أن الآباء الأرثوذكسيين بقيادة مار يعقوب البرادعي جادلوا الخلقيدونيين وأقنعوهم بفداحة الخطل والشطط اللذين ارتكبهما المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ بقبوله أساطين النسطرة ثيودوروس المصيصي وثيودوريطس القورشي وهيبا الرهاوي ، وكيف أن القيصر يوسطينيان أصدر مرسوماً ينبذ فيه مصنفاتهم التي سمّيت

٣٨ ـ راجع هذه الأمور في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

ب « الفصول الثلاثة » ، لتضمّنها تعليما يتنافى والعقيدة الأرثوذكسية • ولكي يضع حداً للنزاع حول هذه الفصول ، عقد في الخامس من أيار سنة ٥٥٣ مجمعاً في القسطنطينية عرف لدى الخلقيدونيين ب المسكوني الخامس • وقد ترأسه أوطيخيوس القسطنطيني ، وحضره ابوليناريوس الاسكندري ودومنينوس الانطاكي ومئة وخمسة وأربعون أسقفا ، تدارسوا الفصول الثلاثة ونبذوها نبذ النواة كما سيأتي •

أما البابا فيجيليوس الروماني الذي كان في القسطنطينية آنذاك ، فأبى حضور المجمع ما لم يشترك معه أساقفة ايطاليون آخرون • وفي المذكرة التي قدّمها الى يوسطينيان في هذا الشأن ، ولئن لام ثيودوروس المشار اليه ، الا أنه أحجم عن شجبه بعد وفاته في الكنيسة الجامعة • كما أنه امتنع عن نبذ ثيودوريطس وهيبا أيضاً مدّعياً أن المجمع الخلقيدوني كان قد استمع اليهما وبرأهما من النسطرة ! فرفضها القيصر مؤكداً أن فيجيليوس ناقض فيها نفسه بنفسه ، إذ سبق له أن نبذ الفصول الثلاثة • وفي الجلسة الثامنة الأخيرة المنعقدة في الثاني من حزيران ، أجمع أعضاء المجمع على نبذ جميع مصنفات ثيودوروس المصيصي وعلى استنكار موقف ثيودوريطس من مجمع افسس وفصول كيرلس الأثنيعشر • وأبانوا بوضوح كفر هيبا والحاده في رسالته الى ماري الفارسي أسقف أردشير • وفي شباط سنة ٥٥٤ أي بعد ستة أشهر من ارفضاض المجمع ، وافق فيجيليوس على قراره وأصدر مذكرة ثانية تنقض ما جا في الأولى[٣٩] •

ان ما يهمنا من أمر هذا المجمع ، هو أنه صحح عقيدة المجمع الخلقيدوني بالنسبة الى سر الفداء ، ناسبا الأمور الرفيعة

---

٣٩ ـ راجع تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٣ ـ ٣١٩ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ •

والوضيعة معاً الى واحد هو الاله المتجسد ، حارماً كل من يميز بعضها للاهوت والبعض الآخر للناسوت وفقاً لطومس لاون الروماني القائل : « حقاً يأتي المسيح الاثنان ، الاله والانسان ، الواحد يبهر بالمعجزات والآخر ملقى للاهانات »[٤٠] • وكان للكنيسة الأرثوذكسية بقيادة مار يعقوب البرادعي اليد الطولى في ذلك •

الفصل الخامس عشر

شخوصه بجمهرة من الرهبان الى القسطنطينية

لقد حدثنا مار يوحنا الأفسسي المؤرخ السرياني الثقة ، بأنه بعد وفاة القيصرة المؤمنة ثيودورة (سنة ٥٤٨) ـ التي كانت تبني وتنمّي الأرثوذكسيين وتلم شعثهم وتحميهم وتعولهم ـ تقدم الى يوسطينيان بعض مستشاريه وقالوا له : فاذ قضت الآن القيصرة التي كانت تهتم بهؤلاء الذين لم يسلّموا بأمرك ولم يأبهوا لك استعصاماً منهم بها ، لا بد وأن يكون صوتهم قد خفت الآن وأيديهم قد ارتخت • فان أمرت باستدعائهم اليك ، استسلموا لك وسلّموا بالتالي بالمجمع الخلقيدوني • فمال الى رأيهم واستدعى اليه أولا مار يوحنا الأفسسي وحاول أن يغرر به بشتى الوعود الخلابة ، آملا أن يجمع بواسطته جميع رهبان أديار سورية ، مغدقا عليهم أنواع العطايا فضلا عن النفقات الباهظة لهم ولخيلهم • فنصحه مار يوحنا أن يعدل عن إرهاق اناس شيوخ ستضحي أديارهم مدة تغيبهم عنها عرضة للبلبلة والتشويش خاصة وهم في مختلف المنافي • وإذ أبى أن يكون أداة له في ذلك خوفاً من سخط أولئك القديسين الكاملين ، كلّف يوسطينيان شخصاً آخر رضي أن يقوم بهذه المهمة • وهكذا اجتمع في القسطنطينية من الرهبان الشيوخ

---

٤٠ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٤ ـ ٣١٩ •

نحو أربعمئة ، انزلوا في قصر إيسيدور الرحب حيث توافد لزيارتهم تبركاً معظم سكان العاصمة ٠ ولما دخلوا الى الملك دهش من منظرهم ٠ وإذ باحثهم في موضوع الخلاف ، رآهم سليمي العقيدة وصلبي العود ، وليس كما أخبره عنهم مستشاروه ٠ وظلوا يجادلون ويتفاوضون سنة كاملة ونيف ولكن بدون جدوى ٠ وأخيراً استأذنوا في الرجوع الى أديارهم(٤١) ٠

والظاهر ان يوسطينيان كان قد استدعى اليه أيضاً البطريركين مار انتيموس القسطنطيني ومار ثيودوسيوس الاسكندري ، المبعدين ، ظاناً أن وفاة حاميتهما ستجعلهما أكثر استعداداً للتفاهم معهم(٤٢) ولكنه لم يظفر بمأربه ٠ وفي السنة ٥٥٧ وصل الى العاصمة مار يعقوب البرادعي ووراءه عدد من الرهبان السوريين(٤٣) ٠

الفصل السادس عشر

رسامته مار أحودامه جاثليقا للمشرق

في سنة ٤٨٠ وشى برصوم أسقف نصيبين النسطوري بالقديس بابويه جاثليق المشرق ، لدى فيروز العاهل الفارسي الذي أمر بصلبه(٤٤) ٠

ثم فتك برصوم بالقديس برسهدي(٤٥) مطران دير مار متى وكورة نينوى ، وببضعة آلاف من الرهبان والكهنة والمؤمنين ٠

---

٤١ ـ انظر التاريخ المنسوب الى ديونيسيوس التلمحري ج ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤١ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٢ ٠

٤٢ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٨٣ ٠

٤٣ ـ فيه ص ٣٨٤ نقلا عن سِيَر النساك الشرقيين لمار يوحنا الافسسي ٠

٤٤ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري ج ٣ عمود ٦٥ ٠

٤٥ ـ ورد ذكر برسهدي « الاسقف في بلاد الفرس » في التاريخ المجهول المنسوب الى البطريرك ديونيسيوس التلمحري مج ٢ ص ١١٠ ٠

وعلى هـذا المنوال اغتصب النساطـرة الكرسي الجثلقي وأقاموا عليه جثالقة متزوجين من مذهبهم(٤٦) ·

أما الأرثوذكسيون الباقون في بلاد الفرس ، فلكي يحافظوا على ارتباطهم الوثيـق بالكرسي الرسولي الانطاكي ، أرسلوا سبعة رهبان الى أنطاكية حيث اقتبلوا الرسامة الأسقفية (٤٧) ·

ويبدو من سيرة مار شمعون الأرشمي أنه كـان على عهده في المشرق للأرثوذكسيين جملـة أساقفة احتفوا برسامته(٤٨) · ولمـا توفي هـذا في القسطنطينية سنة ٥٤٠ لم يبـق للمؤمنين في المشرق سوى قاريس أو قاليروس أسقف سنجار(٤٩) ·

ثم جاء مار خرسطفورس السرياني جاثليق الأرمن إلى ديـر مـار متي ورسم له الراهب العفيف كرماي مطرانا خلفا للقديس برسـهدي الآنف الذكر · وفي كـورة نينوى رسـم القديس مـار أحودامه البلدي أسـقفا لباعربايي(٥٠) أي العرب الرحل بنوطي وتنـوخ وعقيـل سـكان الباديـة الضاربين بـين نصيبين وبلـد وقـرب نينـوى ·

كان مـار أحودامه عالما وفيلسوفا · وهو صاحب النظريـة القائلة بأن الانسان عالم صغير(٥١) ·

وقد اقتدى بالرسل الاطهار وعزّز مكانته بخوارق الأعمـال حتى حظي لدى كسرى أنوشروان ·

---

٤٦ ـ تاريـخ مـار ميخائيل الكبـير ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ والتاريـخ الكنسي لابـن العبـري ٣ عمود ٦٧ ـ ٧٩ ·

٤٧ ـ رسالة مار ماروثا التكريتي الى البطريرك مار يوحنا أبي السدرات في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ·

٤٨ ـ سير النسـاك الشرقيين للافسسي مج ١ ص ١٤٦ ·

٤٩ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري ج ٣ عمود ٨٧ ·

٥٠ ـ فيه عمود ٨٧ و ٩٩ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤١٣ و ٤٢٧ و ٤٩٤ ·

٥١ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام الأول برصوم ص ٢٦٠ ·

وفي سنة ٥٥٩ تفقد مار يعقوب البرادعي أحوال كنيسة المشرق ، ومثل بين يدي كسرى الذي أكرم مثواه ٠

وقبل مغادرته البلاد رسم مار أحودامه المشار اليه جاثليقا أي مطراناً عاماً على المشرق ٠

وهو أول جثالقة المشرق بعد أن اغتصب النساطرة كرسي الجلثقة كما مر معنا ٠

قال مار يوحنا الأفسسي المؤرخ المعاصر للقديس أحودامه :

« وأقام الأرثوذكسيون جاثليقا بيد الطوباوي مار يعقوب أسقف الأرثوذكسيين » ، الأمر الذي لم يصر أبداً في بلاد الفُرس ، وجرى الأمر وقام جاثليق للمؤمنين من ذلك الزمان حتى يومنا هذا [٥٢] ٠

وانطلق مار أحودامه يثبّت المؤمنين وينشر المسيحية بين القبائل العربية الآنفة الذكر ، فهدى منها جماً غفيراً إلى الدين المبين ، ورسم لهم قسوساً وشمامسة ٠ كما شيّد لهم كنائس سمّاها بأسماء رؤسائهم وقبائلهم ليهتموا بشؤونها ، وديرين اسم الواحد عين قُني بالقرب من سنجار أودعت فيه ذخائر القديس سرجيس الشهيد ، واسم الآخر جعتني بالقرب من قرية قرونتا المحاذية لتكريت ، رتّب لهما قوانين لرفع شأن الفضيلة ، ونصّر أيضاً في تكريت بعض المجوس منهم أمير من البيت المالك سمّاه جرجس ، فغضب كسرى وطرحه في سجن ثم قطع رأسه يوم الجمعة ٢ آب سنة ٥٧٥ [٥٣] ودُفن في بيعة ماحوزي ثم نُقل الى قرونتا فتكريت فالموصل حيث لا تزال كنيسته عامرة حتى اليوم ٠

---

٥٢ ـ تاريخه مج ٣ ٠

٥٢ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري ج ٣ عمود ٩٩ و ١٠١ ٠ هذا وقد ورد ذكر مار « احودامه الجاثليق والشهيد في بلاد الفرس » في التاريخ المجهول المنسوب الى البطريرك ديونيسيوس التلمحري مج ٢ ص ١١٠ ٠ راجع أيضاً سيرته بقلم مار دنحا مفريان تكريت ٠

الفصل السابع عشر

اهتمامه بتوحيد الصفوف

في ١٤ تشرين الثاني سنة ٥٦٥ خلف القيصر يوستينوس الثاني خاله يوستينيانوس · وكانت زوجته صوفية سريانية أرثوذكسية مثل خالتها القيصرة ثيودورة العظيمة · فدعت في سنة ٥٦٦ الى مؤتمر شبه دائم في القسطنطينية للتقريب بين وجهات النظر بين الآباء المتخاصمين المتجادلين(٥٤) ، حضره مار يعقوب البرادعي وغيره من كبار أئمة الأرثوذكسية · ولما أراد القديس ثيودوسيوس الاسكندري أن يمثل بين يدي القيصر ، اذن له في لبس زيه البطريركي الكامل · فرحّب به أجمل ترحيب واعداً أن يحقق سلام الكنيسة ويعيده الى كرسيه · فلما بلغ المؤمنين أن القيصر أكرم مثواه واعداً أن يحقق السلام ، وفد الى القسطنطينية كثير من رؤساء الأديار والأعيان · بيد أن ثيودوسيوس لبى دعوة ربه في ١٩ تموز سنة ٥٦٦ ، فدفن بأمر القيصر دفنا فخما عظيما(٥٥) ·

وأمر القيصر الأساقفة الذين كانوا في القسطنطينية من الجانبين أن يحتكوا ببعضهم واضعين قضية سلام الكنيسة نصب أعينهم · فدام الحوار بينهم طيلة تلك السنة ولكن بدون جدوى(٥٦) ·

وإذ كان الأرثوذكسيون هكذا في طمأنينة وسلام بأمر يوستينوس ، رفع اليه مار يعقوب وصحبه معروضاً ناشدوه فيه

٥٤ ـ التاريخ الكنسي للافسسي ج ٣ سفر ٢ راس ١٠ وكنيسة مدينةالله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٨٧ ·

٥٥ ـ فيه وتاريخ مار ميخائيل الكبير مج ١ ص ٣٣١ ·

٥٦ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٨٧ وتاريخ مار ميخائيل الكبر مج ١ص ٣٣١و٣٣٢·

الاهتمام بأمر سلام الكنيسة وتوحيد صفوفها . فأجابهم أنه جد مسرور بهذا ، وسيوعز الى البطريق يوحنا سفيره الى بلاد فارس أن يفرغ كنانة جهده في هذا الأمر . ثم قابل مار يعقوب القيصرة صوفية وطلب اليها أن تهتم هي الأخرى بذلك . فاستدعت اليها البطريق وأكدت عليه أن يبذل قصارى جهده في سبيل ذلك . ثم شخص مار يعقوب الى بيت البطريق أيضاً وسأله أين يريد الالتقاء ؟ فأجاب حيث يشاؤون هم . وعلى هذا الأمل غادر مار يعقوب وصحبه العاصمة . وفي سنة ٥٦٧ توجه البطريق يوحنا حاملا هدايا يوستينوس الى كسرى أنوشروان عاهل فارس . فلما وصل الى الفرات وبلغ ذلك مار يعقوب وصحبه التقوه في قرية بادية على الفرات . كما اجتمع اليه ربوات من المضطهَدين وقصّوا عليه بحزن أليم ما تحملوه من اضطهاد الخلقيدونيين . فبشرّهم يوحنا بالسلام الذي ينوي القيصر تحقيقه في الكنيسة ، وانه في عودته بالسلامة من بلاد فارس سيجتمع اليهم في مدينة دارا .

ولما انفصل مار يعقوب عن البطريق ، صرف جهده مع كافة الأساقفة الأرثوذكسيين في الكتابة الى مختلف الأديار لدعوة رؤسائها والرهبان ، حتى اذا عاد البطريق الى دارا شخص اليه مار يعقوب بجمهور الأساقفة والرهبان . وفي دارا تلقى البطريق رسائل من القيصر فيها يحثه على مواصلة تحقيق السلام قبل عودته الى القسطنطينية . فأشار من ثم الى مار يعقوب وصحبه أن يسبقوه الى الرقة حيث سيبحث أمر السلام مع الأكليروس والأعيان . فاجتمع إذ ذاك في الرقة جمهور غفير جاء من كل فج عميق ، رهباناً وأكليروسا وعلمانيين .

فلما وصل البطريق الى الرقة أخذ يحدثهم بكل لطف وتؤدة قائلا : « أيها الأساقفة ورؤساء الأديار والرهبان والأكليروس .

بما أن ملكنا محب السلام يرغب في توحيد صفوف الكنيسة ، وله اهتمام بالغ بأمر سلامها أكثر من كافة أمور مملكته . لذلك أسألكم أن تقبلوا بنية خالصة ما تنازل فكتبه الملك محب الله ليتحقق السلام بموجبه » • وذكر لهم تنازلات كثير من آباء الكنيسة بدءا من مار بولس الرسول وذلك حبًا بالسلام ليس الا • وقال : ان القديس كيرلس الاسكندري مثلا . مع علمه الأكيد بأن يوحنا بطريرك انطاكية كان لا يزال متمسكا برأي نسطور ومدافعا عنه . فقد قبله في شركته لمجرد اعترافه بأن الطوباوية مريم هي « والدة الآله » • مثل ذلك تنازل كثير من الآباء دون أن يتمسكوا بدقة القوانين . فأسدوا بذلك الى الكنيسة نفعا عميما • كما أنه أوضح لهم أنه لايمكن وهم خارج كراسيهم أن يعملوا ما يريدون . ولكن متى تم ما أمر به الملك المظفر باذن الله ، وتحقق السلام . وحظوا هم بالكراسي . فمع تمادي الزمان يتحقق ما يصبون اليه • وأخيراً نصحهم أن يتقبلوا ما كتبه الملك قائلا : « لئلا وأنتم متمسكون بدقة شديدة يبطل سلام الكنيسة وتندمون • بل ان الأمور التي نلتمسها منكم الآن لتقبلوها . ربما تلتمسونها أنتم بعد مدة ولا تعطى لكم » • فسألوه أن يخبرهم برغبة الملك • فأجاب سيبعث اليهم بانديكتيكون الملك بواسطة الأرخدياقون زكريا . فمتى قرأوه واستوعبوا فحواه . ذيّلوه بتواقيعهم • ثم انصرفوا من عنده • وفي المساء بعث بالأنديكتيكون الى دير مار زكا حيث كان الأساقفة نازلين •

وفي الأنديكتيكون يصرّح القيصر بتبول قانون الايمان الواحدالذيوضعه في نيقيةالآباء الثلاثمئة والثمانيةعشرالقديسون. والذي أقره مجمع الآباء المئة والخمسين في القسطنطينية . وبالاعتراف بميلادي الآله أي الذي من الآب قبل الدهور والذي في آخر الأزمان من العذراء « والدة الآله » مريم . وبالايمان

« بأن الآله الكلمة الوحيد هو واحد حقا لم يتغير بلاهوته ، وقد تألم في الجسد واجترح المعجزات آلهيا . وليس اثنين أي ان المسيح واحد والآله آخر ، لكنه واحد وله من طبيعتين آلهية وبشرية : « اقنوم » واحد وفرصوف واحد ، لا اقنومان أو فرصوفان أو ابنان ، بل واحد هو اقنوم الآله الكلمة المتجسد » ، وبحرم جميع البدع لا سيما المبتدعين : آريوس ، أونوميوس ، مقدونيوس ، نسطوريوس الذي عُزل وحُرم من الأبوين القديسين كيرلس وقلسطينوس ، ثيودوروس المصيصي ، رسالة هيبا الرهاوي ومؤلفات ثيودوريطوس ، وبقبول « المغبوط سويريوس بطريرك مدينة الله » وحلّه من الحرم الذي أُطلق عليه ظلما وعدوانا ، وببطلان جميع الحروم التي صارت من زمن كيرلس حتى ذلك الوقت ·

فلما قرأ الأساقفة والأكليروس انديكتيكون الملك واستوعبوا ما فيه ، كتبوا معروضا بموافقة الجميع أساقفة وأكليروسا وأعيانا كي يتحقق السلام ، وذّيلوه بتواقيعهم ليبعثوا به الى البطريق يوحنا حيث كان نازلا ·

وقد طلبوا في المعروض اضافة كلمتين الى الانديكتيكون · أي حيث كتب « اقنوم » واحد من طبيعتين ، فليُكتب « طبيعة واحدة للاله الكلمة المتجسد » · وحيث ورد « لا ابنان ولا اقنومان » ، فليُكتب « ولا طبيعتان » أيضا · وقالوا اذا كان الأمر عسيراً فليُقبل هنوطيقون زينون الذي يحرم كل تحديد أو تعليم أو عقيدة تمت في أي مجمع كان خلافا لتحديد الآباء الثلاثمئة والثمانية عشر · كماالتمسوا أن تضاف اليه فصول القديس كيرلس الاثنا عشر ، والى « الدبتخا » أسماء المغبوط سويريوس الانطاكي والبطريرك انتيموس القسطنطيني وفيلوكسينوس المنبجي وبطرس وزعورا أيضا ، وليُلغَ الحرم الذي أُطلق عليهم زوراً وبهتانا ·

وختموا معروضهم بقولهم : « اذا رضي انسطاس بطريرك مدينة انطاكية (٥٥٩ ـ ٥٧٠) عن الاتحاد الذي سيتحقق ، فيُطالب منا بالتدقيق بهذه العقيدة كلها · أما اذا استنكف ، فليجلس آخر بدلا منه يكون بالتأكيد من جانبنا » ·

وقبل أن يُرسل المعروض الى البطريق ، بلغ أمره مسامع الرهبان الذين شخصوا معا الى دير مار زكا باضطراب شديد · وفي وسط الغوغاء والضوضاء طلبوا أن يعلموا ماذا كتبوا · فأمر الأساقفة أن يُقرأ المعروض أمام جمهور الرهبان · فلما شرعوا في القراءة حدثت ضجة صاخبة خطف خلالها الورقة بوقاحة لا تطاق راهب غير مهذّب اسمه قوزما بن حرنيثا من دير مار قيروس في ظاهر الرقة ومزّقها أمام الجمهور ، الأمر الذي سبّب بلبلة وخصاما كبيراً لا حد له · فلما علم البطريق بما جرى اضطرب وعبر الفرات دون أن يذوق حتى الطعام الذي أعدّوه له ، ونزل في دير مار دانيال[٥٧] · فساء في أعين الكثيرين هذا الأمر الذي أضحى عقبة كأداء في سبيل اتحاد الكنائس ، وعبر الأعيان النهر حيث استطاعوا أن يقابلوا البطريق ويقنعوه أن يسأل الأساقفة ليكتبوا معروضا آخر بدلا من الذي مزّق · فشخص اليه من ثم مار يعقوب وثاودور اسقف بصرى وأوجين قيليقية والراهب القسيس أبوي وغيرهم وصارحوه بأنه لا يجوز أن يبطل السلام بسبب غوغاء بعض من غير المهذبين ومبغضي السلام · ثم عملوا معروضا آخر كالذي مزّق · ولكن حين عاد مار يعقوب وصحبه وعلم الرهبان أنهم عملوا معروضا آخر سلّموه الى البطريق ، ثارت نائرتهم وقالوا لمار يعقوب ان كنت لا تلغي الكتاب وتحرّم على نفسك قبوله سنحرمك كلنا ولن نرضى البتة أن تكون لنا

٥٧ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير مج١ ص ٣٣٣ـ٣٣٦ وتاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٤٦ـ٢٥٢ ·

أسقفا • فلما رآهم على تلك الحال المضطربة كتب فــوراً وألغى الكتاب بالحرم • فلما طرق الخبر مسامع البطريق غضب وعاد توّاً الى القيصر وأنهى اليه الأمر وزاد فيه ساعيا الى اضطهاد الكنيسة • فاجتمع المضطهَدون وأقاموا الصلاة لاعنين البطريق • وفي ذلــك اليوم فيما كان ماثلا بين يدي القيصر مسّه شيطان فسقط على الأرض وأخذ يجأر كالعنزة ثم مــات ، الأمر الذي أوقع خوفــا في قلــوب الجميــع [٥٨] •

أما يوستينوس فتألم كثيراً لفشل مساعي البطريق في ســبيل السلام ، ثم كتب الى سرجون قائد جيش سورية أن يسعى في شخوص مــار يعقوب وثاودور وغيرهما الى القسطنطينية • كما أوعز الى معتمده أسطيفان أن يزوّدهم بما يتطلب للنفقات • فبلّغ سرجون أمــر القيصر الى مــار يعقوب وصحبه [٥٧] • في هذه الأثناء كتب الى مار يعقوب رؤساء أديار الشرق رسالة هذه خلاصتها :

الى سيدنا الأقدس والمغبوط أبي الآبــاء مــار يعقوب رئيس الأســاقفــة •

من ماري رئيس دير ماربس ، زينوبيوس رئيس دير مــار بيزا ، قسطنطينوس رئيس دير برتــا وباقي رؤساء الأديــار • فيها يُطرون غيرته الوقّادة وأتعــابه الرسولية في سبيل الايمــان القويم التي تضيء في المسكونة كلها • ويقولون أن غيرتــه تتجلى فيهم كماتأكد هو نفسه من مختلف الاجتماعات وعلم أنهم مستعدون يتألموا في كل شيء على أن يزعزعوا سطراً واحداً من الحــدود التي سلّمها اليهم الآباء القديسون سويريوس وأنتيموس وثيودوسيوس الراقدون مع القديسين ومن نسج على منوالهم • ويعدون بالمحافظة على نصائحه وتعاليمه وعلى كل ما أتاه الآباء القديسون سواء أكان

---

٥٨ ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ١ ص ٣٣٥ •

بالعمل أم بالرسامات أم بالتنظيمات أم بالادارة أم بالعقيدة ، إذ كان المسيح ينطق فيهم • ويحرمون جميع رؤساء البدع ومستنبطي الشرور ، والمجمع الخلقيدوني الدنس وما تم فيه خلافا للشريعة ، وطومس لاون المجدّف بل لاون نفسه ، والذين تجاسروا أن يقسموا الواحد ربنا يسوع المسيح الى طبيعتين ، وكل بدعة تخالف تعليم آبائنا القديسين الجامعي والرسولي ، الى جانب البدعة التي تنشأ الآن أي بدعة متعددي الآلهة والجواهر القائلين ان الثالوث تجسد في شخص واحد من أقانيمه • أولئك الذين حرمهم آباؤنا القديسون وقالوا بطبيعة واحدة متجسدة من طبيعتين للاله الكلمة ، وبلاهوت واحد وجوهر واحد وطبيعة واحدة في ثلاثة أقانيم للثالوث ، لا ثلاثة جواهر وثلاث طبائع وثلاثة آلهة • ويقسمون بأنهم لن يشتركوا مع من يزعزع هذا الاعتقاد ، ولن يتزعزعوا هم عن صخرة المسيح ، لكنهم سيحتملون بطيبة خاطر وسرور الموت والخطر وأقسى الاضطهاد في سبيل ذلك • الى أن يقولوا :

« تذكرون ما جرى في الرقة بخصوص الورقة التي كتبت قسراً • انها لم تحرم المجمع الخلقيدوني الشرير وطومس لاون والذين يقسمون المسيح آلهنا الى طبيعتين • وقد تضمنت اسم البطريرك مار سويريوس الراقد بين القديسين وذلك لاصطياد البسطاء فقط دون أن تذكر تعليمه الذي من الروح القدس • فلما تليت أمام الجمع المحتشد هناك من جميع الأبرشيات ، لم يطيقوا حتى سماعها بآذانهم ، وغاروا للرب كايليا النبي ومزّقوها إذ تضمنت ما هو خارج عن إدارة آبائنا القديسين الشرعية • أما اذا أُعطيت ورقة أخرى تضمنت نفس الأمور أو غيرها فلا علم لهم بذلك كما يشهد هو أيضاً • بل ان تلك الجموع المؤمنة لم تطلب أن يُعمل شيء آخر غريب عن الشريعة التي سبق أن رسمها آباؤنا

القديسون · لقد ورد الينا نبأ من العاصمة مفاده أن بعض الذين يُظنون أنهم منا يريدون أن يستدعوكم اليها مع مار ثاودور باسم الوحدة التي يعدونها · والصحيح هو لتوافقوا على العقيدة التي تضمنتها الورقة المشار اليها . وبواسطتكم يبلغون غايتهم » · ويلتمسون منه ألا يعطي نفسه كيفما كان اذا كان لا يعلم بوضع ورقة كهذه · فاذا علم بها وأيدها انقسم الشعب أخيراً وانقلب الى عداوة [٥٩] · فلم يشخص مار يعقوب الى القسطنطينية عملا باشارة الرهبان ·

هكذا عيق سلام الكنيسة بسبب رهبان جهال ولا سيما القرتمينيين منهم (دير مار كبرئيل) غير المهذبين كما أكد المؤرخون وانحوا عليهم باللوائم [٥٧] ·

الفصل الثامن عشر

الضغط على أعوانه

لقد مر معنا ان القيصر يوستينوس الثاني ، اذ غاظه جداً اخفاق البطريق يوحنا في الرسالة التي حمّله اياها الى مار يعقوب وصحبه ، بعث يستدعي مار يعقوب وصحبه الى القسطنطينية للتفاهم في ما زعم ، وهو ينوي أن يستعمل مختلف وسائل الضغط والتضييق عليهم كي يسلّموا بالمجمع الخلقيدوني · واذ لم يشخص مار يعقوب ، شخص البطريرك بولس الثاني يرافقه أربعة أساقفة هم : يوحنا الافسسي ، اليشع ، اسطيفان وبطولماوس [٦٠] ·

---

٥٩ ـ الأسناد السريانية طبعة الأب جان شابو ص ١٧٢ ـ ١٧٧ ·

٦٠ ـ تاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٥١ـ٢٥٢ · هذا ولا نرى أي مبرر لزعم بعضهم ان ثيودور مطران بصرى هو الذي شخص في هذه المهمة وفي هذا الزمن بالذات الى القسطنطينية فبالغ القيصر في إكرام مثواه (تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣٣٦) ·

وفي سنة ٥٧١ أبرز يوستينوس اينوتيكونه الثاني ، وفيه اعتراف بطبيعة واحدة متجسدة واعتراف بفرق بين طبيعتين آلهية وبشرية • وفي أواخر السنة ٥٧٣ أصيب في عقله اصابة ظاهرة ، فتصدت زوجته الملكة صوفية للقيام بأعباء الحكم ، مستعينة بطيباريوس قومس الحرس • وفي سنة ٥٧٤ حبس يوستينوس أوطيخيوس بطريرك القسطنطينية وأبعده ، وانتقى بدلا منه يوحنا السرميني السوري الذي اشترك في الحوار الأرثوذكسي ـ الخلقيدوني • وفي هذه السنة تبنى يوستينوس طيباريوس المشار اليه • وفي السابع من كانون الأول أعلنه قيصرا • فصرّف الأمور باسم سيده أربع سنوات متتاليات الى أن قضى يوستينوس فانفرد بالحكم(٦١) •

أما يوحنا السرميني فاذ لم يستطع مجابهة حجج الأرثوذكسيين الدامغة ، قال لهم : نُقسم بالله نحن والقيصر بأنكم اذا اتحدتم واشتركتم معنا سنلغي المجمع الخلقيدوني • فلما رأى البطريرك بولس وصحبه تجديف أتباعهم عليهم كأنهم هم الذين يقفون عقدة كأداء في سبيل الاتحاد . تنازلوا للاشتراك مع ذوي الطبيعتين مرتين • ولكن حين طالبوا بالغاء المجمع الخلقيدوني أخذ الخلقيدونيون يتعللون قائلين : انهم سيكتبون بذلك الى بابا رومية ، فاذا وافق ألغوه وأقصوه عن الكنيسة • فأخذ اذ ذاك الحزن منهم كل مأخذ ، بل فارقتهم التعزية وكادوا يقضون، اذ كذبوا هكذا عليهم وخدعوهم ، وشرعوا يندبون حظهم بالبكاء والنحيب حتى أوشكت أن تظلم عيونهم • فاستدعاهم القيصر واستفهم منهم عن سبب هذا الحزن العميق ووعد أن يعيّنهم في أبرشيات شهيرة بل حيث يشاءون • فأجابوه انهم لم يضحّوا بأنفسهم ليصيروا

---

٦١ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٨ •

أساقفة في المدن بل أملا في الاتحاد • فاذا كان المجمع الخلقيدوني لا يُقصى عن الكنيسة ، فلن تكون لهم الى الأبد شركة مع الذين يذكرون اسمه • فغضب القيصر ونفى البطريرك بولس وسجنه في دير ابراهيم حيث كتب عن المظالم التي جرت في الكنيسة بواسطة وفي عهد البطريرك يوحنا السرميني ويوستينوس الثاني • فثلبه بعضهم لدى يوحنا السرميني الذي أرسل الى السجن من أتاه بالكتاب ، فسلّمه بدوره الى القيصر الذي تنمر للبطريرك بولس واستدعاه وسأله اذا كان هو نفسه الذي كتبه أم لا • فاعترف بولس ولم ينكر • حينئذ أمر القيصر بالقضاء عليه •

أما اسطيفان فاستسلم للأمر الواقع ، فأناط به الخلقيدونيون رئاسة أبرشية قبرص • وقد حظي لدى القيصر ما حداه أن يشفع في البطريرك بولس • فقال له القيصر انه يبقى في الحياة شريطة أن يسلّم بالمجمع الخلقيدوني • فلما أنهى اليه الأمر استسلم هو الآخر خوفاً من الموت • فأراد يوحنا السرميني أن يهينه خاصة أمام الاسكندريين أهل مدينته ، فجعله يشترك معه • ثم أضحى مستشاراً للقيصر اذ كان رجلا حكيما محنكا ومتمرسا ومتمكنا من الأدب والمعرفة والمنطق •

واستلم بطولماوس إدارة احدى كنائس العاصمة • أما اليشع فظل في العاصمة بدون عمل • وأما يوحنا الافسسي الذي كان قد استسلم للخلقيدونيين مع البطريرك بولس أملا في توحيد صفوف الكنيسة كما أسلفنا ، فاذ رأى أنهم قد خدعوهم انفصل عنهم • فأوفد اليه القيصر مراراً اسطيفان المومأ اليه كي يسلّم ولكنه أبى • فأمر القيصر بطرحه في السجن حيث ذاق الأمرّين لمدة سنة وأربعة أشهر • ثم نفي الى احدى جزر البحر • ثم أعيد الى القسطنطينية حيث أقيم عليه حراس لئلا يهرب • فظلّ حتى

سنة ٥٧٧ التي فيها قضى يوحنا السرميني[٦٢] . وقد وصف هو نفسه سجنه المرير بما خلاصته : « لما كنت سجينا في مكان ضيق مرير ، أصبت بألم شديد في اليدين والرجلين ، ودبّ في جسمي القمل والبراغيث التي كانت غرفة السجن مملوءة منها . وكانت أسراب الذباب تتكدس علينا نهارا من جراء زناخة المستشفى المجاور ، وفي الليل كان الفسافس يغطي السرير كله وينهش وجوهنا وعيوننا ، كما كان البق أيضا يحرق وجوهنا . والفيران التي عششت تحت وسادتي كانت تصوّت وتصرصر طوال الليل »[٦٣] .

كانت جميع منظماتنا الكنسية في القسطنطينية وضواحيها تسير بأمان وسلام . وتقوم بمهامها الدينية بكل شجاعة وإقدام لمدة تنيف على الأربعين سنة ، الأمر الذي لم يرق ليوحنا السرميني ، فحرّض عليها يوستينوس الذي أمر باغلاق مجتمعات الأرثوذكسيين وهدم كنائسهم والقاء القبض على جميع الكهنة ورؤساء الكهنة ليطرحوا في غياهب السجون أو يبعدوا الى مختلف المنافي . وهنا ثارت على سفينة الكنيسة زوابع عاتية يعجز القلم عن وصفها[٦٤] .

لقد عزّ على يوحنا السرميني ما حظي به البطريرك بولس الثاني من الاكرام لدى القيصر ، اذ خشي أن يعزله القيصر ويسلّم كرسيه القسطنطيني الى بولس . فأخذ يجس المخاضة بقوله للقيصر : انه حسن أن يعيّن بولس في أورشليم أو تسالونيكي لأن الكرسيين شاغران . فأدرك القيصر مكيدته فقال له : كلا فاننا بحاجة اليه هنا ، ما أثّر في نفس السرميني ، وجعله

---

٦٢ - تاريخ الافسسي ج ٣ ص ٢٧ - ٤٠ وتاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٥٢ .
٦٣ - تاريخ الافسسي ج ٣ ص ٥٩ - ٦٠ .
٦٤ - فيه ص ٦ - ١٣ .

أن يرخي لبولس حتى اذا شاء أفلت . ذلك ان بولس ولئن حظي بدالة لدى القيصر ، الا أن ضميره كان يبكته . فلما سنحت الفرصة المؤاتية أفلت في أحد الليالي . وبعد أن اختفى في خزانة تسعة أشهر هرب الى بلاد العرب (حوران) ملتجئا الى الملك الغساني المنذر بن الحارث بن جبلة الأرثوذكسي . فلما بلغ القيصر هرب بولس أمر باغلاق جميع الموانىء والحدود ، وبتفتيش السفن والأديار حتى القبور ، وكتب عنه الى كل مكان(٦٥) .

وتسلم طيباريوس زمام الحكم في خريف السنة ٥٧٤ فأوقف ملاحقة الأرثوذكسيين ، وسمح لمار يعقوب البرادعي بالخروج من منفاه والعودة الى القسطنطينية(٦٦) . أما يوحنا السرميني فاذ كان متعطشا كالذئب الى شرب دم الخراف ، مثل بين يدي طيباريوس وأخذ يحرّضه على اضطهاد الأرثوذكسيين . فسأله طيباريوس : هل هم وثنيون ؟ فأجاب كلا ليسوا وثنيين . فقال هل هم اذن هراطقة ؟ فأجاب كلا ليسوا كذلك . فقال له ها انك تشهد بأنهم مسيحيون ، فكيف اذن تحرضني على اضطهاد المسيحيين مثل ديوقليطيان وغيره من الملوك الوثنيين ؟ فامضِ واجلس في كنيستك واهدأ(٦٧) . وفي سنة ٥٧٧ توفي يوحنا السرميني ، فأعاد طيباريوس أوطيخيوس الى الكرسي القسطنطيني . وعاد هذا الى سابق حماسه في الضغط على الأرثوذكسيين والتضييق عليهم . فقال له طيباريوس قوله التاريخي « تمهل فالبرابرة كثر ومحاربتهم أولى »(٦٨) .

---

٦٥ ـ تاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

٦٦ ـ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٨٨ .

٦٧ ـ تاريخ الافسسي ج ٣ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

٦٨ ـ فيه ص ٤٧ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٨٨ .

الفصل التاسع عشر

عزله بولس الثاني

لقد مرَّ معنا أن بولس الثاني لجأ الى المنذر بن جبلة ملك الغساسنة الأرثوذكسي • وحال وصوله اليه قدَّم توبة لمار يعقوب البرادعي ولمجمعه الشرقي في معروضين • وبعد تضرّع ثلاث سنين قبله مار يعقوب ومجمعه بالتماس المنذر • فكتب من ثم مار يعقوب الى القسطنطينية وانطاكية وغيرهما من البلاد جملة رسائل جاء فيها قوله : « اعلموا هذا اننا قبلنا الطوباوي بطريركنا مار بولس في الشركة الروحية واشتركنا في القربان ، فكل من يقبله ايانا يقبل وكل من لا يقبله ايانا لا يقبل » • فلما علم الاسكندريون بقبول بولس قرروا الانشقاق ، الأمر الذي حزَّ في نفس مار يعقوب وأهل سورية بل اضطر مار يعقوب الى عزل بولس ارضاء للاسكندريين • فانقسمت الكنيسة بأساقفتها وأديارها ومؤمنيها، تحزّب قسم لبولس والقسم الأكبر لمار يعقوب • من هنا تسمية اليعقوبية وهي وليدة مناسبة معيّنة ولفترة معينة ليس الا • في هذه الأثناء كتب بولس الى مار يعقوب قائلاً : « لماذا كل هذا السجس في الكنيسة ؟ لنجتمع معا ونتدارس الأمور وفقاً للقوانين البيعية . فاذا وُجدت أنا المذنب أقبل القصاص ثلاثة أضعاف • واذا كنتم أنتم فأنا أقبل عنكم القصاص » ! بيد أن مار يعقوب أصغى الى تلاميذه ولم يتنازل أن يصالحه ولا أن يراه • ثم أخذه تلاميذه الى الاسكندرية حيث حرّضه الاسكندريون على استئناف عزل بولس • فأرسل ثلاثة أساقفة الى سورية حيث طافوا البلاد يعلنون عزل بولس • فلما

رأى بولس أنه قد رُفض في سورية ومصر معاً شخص الى القسطنطينية ٠

أما الاسكندريون فكانوا يكرهون بولس الثاني ، أولاً : لأنه ورث القديس ثيودوسيوس الاسكندري بعد وفاته في القسطنطينية ٠ ثانياً : لأنه حاول الانتقال من الكرسي الأنطاكي الى الكرسي الاسكندري في حين أن الاسكندريين كانوا يريدون لكرسيهم أثناسيوس ابن ابنة الملكة ثيودورة ٠ فكتب اليهم بولس يطعن في أثناسيوس الذي حين بلغه الأمر كتب الى الاسكندريين يستفسر عن رذائل بولس ٠ واذ كان هؤلاء يكرهون بولس ، كتبوا الى أثناسيوس الشيء الكثير عن رذائله ما قدّمه أثناسيوس الى القيصر يوستينوس ٠ ثالثاً : لأنه رسم لهم بطريركاً هو بطرس بدون علمهم ٠ على أن الاسكندريين لم يكونوا مستائين من بولس وحده بل من مار يعقوب أيضاً الذي رسمه ٠

هكذا بعزل بولس الثاني انقسمت الأديار الكبيرة شرقاً وغرباً ٠ وقد تضمن كتاب « الأسناد » السريانية الذي طبعه الأب جان شابو بعض رسائل أنفذها رؤساء أديار الشرق الى مار يعقوب دفاعاً عن بولس ٠

بعد هذا عاد مار يعقوب الى سورية حيث اجتمع مع رؤساء الأديار في دير مار حنينا بين بلش (مسكنة) والرقة واختاروا ثلاثة رجال حكماء ليقيموا لهم بطريركاً ٠ الا أن بعض الأساقفة أبوا اقامة خلف لبولس الذي لم يُشجب قانونياً ٠ وهكذا أرفضّ الاجتماع بدون جدوى ٠ الا أن مار يعقوب حبّاً بالسلام وتطلعاً الى تسوية الخلاف ، حدته الغيرة الى الشخوص الى الاسكندرية مرة أخرى ٠ ولكنه توفي في هذه المرة كما سيأتي ٠ فكتب البابا دوميان الاسكندري الى أساقفة سورية رسالة تعزية ، وفيها يلفت

أنظارهم الى « وجوب الاعراض عن بولس وفقا لقرار مجمعي الكنيستين وحرصاً على وحدة الصف » • وكان دوميان سريانياً جنساً فتوجه الى سورية ليرى شقيقه الذي كان والياً على الرها ، وفكّر في اقامة بطريرك لأنطاكية بدلاً من بولس ، ولكنه باء بالفشل الذريع • ولما توجه الى القسطنطينية وبّخه المنذر بن جبلة وألح عليه ليحسموا الخلاف • فأقسم أنه سيفعل ذلك بالنسبة الى الاسكندريين • ولكنه نكث وعده • وعبثاً كتب اليه المنذر بذلك •

بعد هذا اجتمع أساقفة سورية سنة ٥٨١ وانتخبوا بطرس بن بولس من الرقة ورسموه بطريركاً لأنطاكية خلفاً لبولس • فلما رأى بولس اضطراب الأمور البيعية بسببه ، تخفّى في جبل القسطنطينية مدة أربع سنوات • ولما مرض دخل سراً القسطنطينية حيث توفي ودفن في دير للنساء[٦٩] •

وفاته ونقل رفاته

ذكرنا في ما سلف أن الغيرة على وحدة الصف حدت مار يعقوب أن يدخل الاسكندرية ثانية • وكان يصحبه في هذه المرة ثمانية أساقفة وكتّابه • فلما وصلوا الى ديرمار رومانوس الكبير الواقع في تخوم مصر والمعروف أيضاً بدير قسيان ، وصلّوا ، قال مار يعقوب لصحبه : صلّوا أيها الأخوة فقد أعلن لي الرب أنني وثلاثة منكم سننتقل من الحياة الزمنية • وفي الصباح مات يوحنا أسقف دير قرتمين (مار كبرئيل) فالاسقف سرجيس كاتم أسرار مار يعقوب • وبعد ثلاثة أيام أسلم مار يعقوب روحه في

---

٦٩ ـ التاريخ الكنسي ليوحنا الافسسي ج ٣ ص ٥٠ ـ ٥١ و ٢٠١ ـ ٢١٣ و ٢٢٥ ـ ٢٢٧ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣٣٥ و ٣٥٤ ـ ٣٥٧ والتاريخ الكنسي لابن العبري ج ١ عمود ٢٣٣ ـ ٢٥١ •

الثلاثين من تموز سنة ٥٧٨ · وبعده شماسه · أما الباقون فعادوا الى سورية[٧٠] حاملين رسالة تعزية من البابا دوميان الاسكندري الى أساقفة سورية وكهنتها ورؤساء أديارها وكافة اكليروسها . وفيها يُكبر الرزء الأليم والخسارة الفادحة ، ويطري مناقب قديسنا وحبه للسلام ، وعمله على توحيد صفوف المؤمنين ، وتفانيه في سبيل الايمان القويم ، واستعذابه العذاب ، وتحمله المتاعب والشدائد من جوع وعطش وحرّ وقرّ بدون تذمر ، واستبساله ابان الاضطهاد وتنقله من المغاور الى الجبال بل الصحارى الموحشة بصدر منشرح · ويسميه : « صاحب الاسم العذب والمآثر الطيّبة القديس يعقوب ، تاج الكهنة واكليل الزهد والفضيلة وناذر العفة منذ حداثته وأساس المؤمنين وحصن الكنيسة » · ويقول : « انه فضّل رضى يسوع على رضى نفسه ، ولم يكن يحيا لذاته بل للذي تألم لأجلنا · كيف لا وقد أهمل ما وراءه وتطلع الى الأمام مندفعاً في هداية الضالين ، يبذر المحبة في القلوب ويمرض مع الضعفاء ويضطرم غيرة نظير بولس الرسول من أجل المتشككين » · ويردف : « ان هذا البار قد تركنا وانتقل الى يسوع ، وارتقت نفسه الى السماء »[٧١] ·

وكان دوميان قد وصل الى دير قسيان بعد وفاة مار يعقوب· وعبثاً حاول أن يأخذ جثمانه الى الاسكندرية اذ أبى رهبان الدير تسليمه اياه · وهكذا وضعوه في صندوق واحتفوا بدفنه في ديرهم باكرام جزيل · أما في سورية فكانت لوفاته رنّة حزن وأسى عميق[٧٢] ·

وفي سنة ٦٢٢ وفي عهد البطريرك مار أثناسيوس الأول

---

٧٠ ـ سير النساك الشرقيين للافسسي ج ٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣٦٥·

٧١ ـ المثال الرباني للراهب يوحنا دولباني ص ٥١ ـ ٥٥ ·

٧٢ ـ تاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٢٥٦ ·

المعروف بالجمّال ، اذ بلغت مار زكا أسقف تلا أخبار قداسة مار يعقوب ، أرسل الى دير قسيان وفداً مؤلفاً من أربعة نساك من ديره واثنين من اكليروس المدينة ، وزوّدهم بخيل سريع ونفقات ، لكي يسرقوا جثمان مار يعقوب . فلما وصلوا الى دير قسيان وسألهم الرهبان عن المهمة التي قاموا بها ، أجابوا أنهم وفد كنيسة سورية الى بابا الاسكندرية . ثم تظاهر أحدهم بالجنون فرُبط في صندوق القديس . أما رفاقه فناموا عنده . وفي الليل سرقوا جثمان مار يعقوب وتوجهوا الى فلسطين . وفي الصباح لما قام رهبان دير قسيان وعلموا بسرقة جثمان القديس جاشت عيونهم وأطلقوا أصواتهم بالبكاء . أما النساك فتوجهوا الى تلاّ حيث هرع الاسقف والاكليروس وأهل المدينة الى لقاء الجثمان الطاهر بشموع وبخور وأناشيد روحية ، وطافوا به المدينة كلها ثم دفنوه في ديره – دير فسيلتا – في الهيكل الذي كان القديس نفسه قد شيده[٧٣] .

الفصل العشرون

مآثره وآثاره

كان قديسنا ماريعقوب البرادعي معتصماً بالدين المبين ومستمسكاً من المعتقد القويم بالعروة الوثقى ، وكان حب الفضيلة متمكنا من نفسه ، فمثّل على مسرح الكنيسة بمنتهى الجدارة والاتقان دوره التاريخي – دور المجاهد الرسولي الأكبر – فوطّد البيعة المقدسة في الايمان الحق ، ورفع لواءها عاليا بجهوده المكثفة وجهاده المرير وبطولته الفذة وبكل ما حباه به الله من علم غزير وغوص عميق

---

٧٣ – راجع الملحق بكتاب سِيَر النساك الشرقيين للافسسي بقلم قورياقس اسقف آمد ج ٢ ص ٢٦٨ – ٢٧٣ .

في كتابه العزيز فضلا عن تجمله بالورع والطهر والقداسة • وقد بيّن تلميذه المؤرخ الثقة مار يوحنا الافسسي في سيرته المطولة[٧٤] انه كان يجترح المعجزات الباهرات كالرسل الأطهار • بل أثبت له كثيراً من مآثره الغراء ، منها : شفاؤه مختلف الأمراض المستعصية ، اخراجه الشياطين من الممسوسين ، احياؤه بعض الموتى ، نزعه العقر من بعض النساء ، فتحه عيني أعمى في الرها ، تصحيحه جسم امرأة مشلولة من أعيان مدينة آمد كانت طريحة عند باب الكنيسة اذ أمسكها بيدها وقال لها : شفاكِ يا ابنتي ربنا يسوع المسيح • كان ذلك يوم تكريس كنيسة آمد سنة ٥٧٦ • وفي أثناء التكريس أظهر الله أعجوبة خارقة ، اذ رأى كثيرون من الحاضرين جمهوراً من الملائكة داخل المذبح وهم يبتهجون ويمجدون الله •

وفي هذه السنة سلّط الله على أهالي مدن ما بين النهرين ولا سيما حران والرها وآمد وميافارقين ، جنونا وعمى القلب • فكان الناس يعدون وكأن فرسانا يلاحقونهم ، بل كانوا ينبحون ويعوون كالكلاب ويعضّون أجسامهم ، فهرولوا الى القديس مار يعقوب يبكون • أما القديس فقام يوم الأحد ووضع بخوراً في المجمرة وأمر أن يطاف بها في شوارع آمد وبيوتها صباحا ومساء ، فلم يبقَ في اليوم التالي ولا مجنون في المدينة •

هذا فضلا عن استنزاله الغيث ، تفجيره عينا وايقافه الشمس مرة عند الغروب بجوار دير القديس مار قيوما •

وفي عهده اغار كسرى بن قباد العاهل الفارسي على المدن والقرى الواقعة على الفرات وسباها ودمرها ولا سيما بطنان • وقصد الرها ليفتحها • وكان فيها مار يعقوب • فارتعب أهلها وتقدموا من مار يعقوب يلتمسون منه أن يصلّي الى الله ليخلّص

---

٧٤ _ ملحق بكتاب سير النساك الشرقيين مج ٢ ص ٢٢٨ _ ٢٦٨ •

المدينة · فشجعهم القديس وقال لهم لا تيأسوا فان الله في هذه الليلة سيطرده كما طرد سنحاريب من أورشليم ، وفي الفجر لن يبقى في تخومكم أحد من الفرس · فصلّى طيلة تلك الليلة · وفي منتصفها رأى كسرى خيلا من النار وفرسانا متسربلين بالسلهبة يقولون له قم غادر مدينتنا والا فسنبيدك وجيشك مع شروق الشمس · فما كان من كسرى الا أن أطلق صرخة مرعبة بجيشه ورحلوا عن المدينة ·

توجه القديس بعد ذلك الى دير ابن افتونيا (قنسرين) وكان قد شُيّد حديثا · وحدث في أثناء القداس أن عربيا كان قد اعتمد حديثا ، رأى في الكنيسة ناراً نازلة من السماء وألسنة نارية ترف فوق القربان وجنود الملائكة يحنون رؤوسهم أمام الذبيحة الالهية · بل رآهم يكتبون في سجل نظيف اسم كل من يتناول القربان · فآمن البربري وسبّح بحمد الله ·

ونظراً الى هذه الكرامات وما بذله من همة شماء في سبيل سلام الكنيسة قال عنه رؤساء أديار الشرق في رسالتهم الى الأساقفة الأرثوذكسيين والقسوس والشمامسة القاطنين في القسطنطينية : « فقد جاء الى بلادنا وقرأ علينا سلامكم ، فرحبنا بأبينا العام ترحيبنا بملاك الله وبالمسيح يسوع كقول بولس · وبمجيء أبينا العام أقامت الكنيسة كلها عندنا عيداً منيفا » · واذ يُطرون السلام الذي أحرزوه حتى كتابة الرسالة ، ويأملون أن يبقى الى الأبد ، يقولون : « بالحقيقة ان هذا السلام الكامل منحنا اياه الله بالتعب والسعي اليقظ الذي بذله الصفي والمغبوط أبونا المتقدم في الأساقفة سار يعقوب الذي نصلّي معكم الى الله بلا فتور كي يطيل حياته لأزمنة مديدة »(٧٥) · أما رؤساء أديار

٧٥ ـ الأسناد السريانية طبعة الأب جان شابو ص ١٨٢ ·

بلاد العرب (حوران) الـ ١٣٦ فسّموه « ملاكـاً » في رسالتهم الى الأساقفة الأرثوذكسيين[٧٦] ٠

ومـن مآثـره ، انـه رسـم بتفويض البابـا ثيودوسـيوس الاسكندري بطريركين لانطاكية وسبعة وعشرين مطرانا ٠ أمـا القسوس والشمامسة فبلغ عددهم مئة ألف[٧٧] ٠

ومن آثارهالقلمية القيّمة ليتورجيةأولها «اللهم يا أبا السلام الكلي القداسة » ورسائل عامـة الى الأساقفة والكهنـة ذكرت في سيرته المطولـة[١] ، ورسـائل عديدة أنفذها الى القسـطنطينية وانطاكية وغيرهما من البلدان بعد قبوله توبة بولس الثاني[٧٨] ، ورسائل أخرى خاصة عالج فيها بعض المشاكل البيعية ، وبعضهـا شاركه فيها بعض المطارنة ٠ فقد أنفذ اليه والى مـار ثيـودور مطران بُصرى (اسكي شام) البطريرك بولس الثاني رسالة يقص فيها عليهما ما ألصقه به بعض المشاغبين كتابة وشفويا من التهم لابتعاده عن بدعتهـم القائلة بكثرة الجـواهر وبتعدد الآلهـة ٠ ويخبرهما بأن المتمسكين بهذه البدعة تقوية لموقفهم يعتبرونهما من جانبهـم بينما هما بريئان من ذلـك ٠ ويسألهما أن يبديـا رأيهما كتابة في المقالة التي وضعها قبل مديدة البابا ثيودوسيوس ضد هذه البدعة الوخيمة لئلا ينخدع البسطاء فينتشر سم البدعة في نفوسهم ٠ وكذلـك بالنسبة اليـه ٠ ويأمل أن تنكشف التهـم وتصل الى نهاية صالحة ٠ فيكتب اليه مـار يعقوب ومـار ثيودور بأنهما استلموا رسائله التي تصرخ بألم مما ألمّ به من الضيقات ٠ ويحثانه أن يصمد مبينين له أن الآباء الذين لمعوا قبله أيضا اتهموا بأقسى منها ولكنهم تلافوها بعظمة ومحبة ٠ ويطلبان له مـن الله

---

٧٦ ـ فيـه ص ٢١٢ ٠

٧٧ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري ج ١ عدد ٢٤٥ ٠

٧٨ ـ التاريخ الكنسي ليوحنا الافسسي ج ٣ سفر ٤ رأس ١٥ ٠

مخرجا من المحنة • ثم يؤكدان له انهما يقبلان كل ما تم بواسطة الراقد بين القديسين البابا وشهيد الله ثيودوسيوس كالذي تم بواسطة الآباء القديسين من اثناسيوس الاسكندري حتى القديس سويريوس الانطاكي ويستغربان قول بعضهم انهما وافقا على ما قاله بعضهم ضده مع أنهما له في كل شيء • كيف لا وقد كمّا أفواه الذين تكلموا أمامهما ضده كما هو معلوم لدى الكثيرين •

وفي رسالته الى قنون وأوجين زعيمي هذه البدعة قبل حرمهما يظهر تأسفه الشديد للخلاف الناشيء بينهما وبين آخرين ، ويصلّي كي يعطيهما الله روح التمييز ، وينصحهما أن يشفقا على كنيسة الله وعلى شيخوخته بل على نفسيهما وآكد لهما أنه لا يمكن أن يتزعزع أي شيء أتاه البابا ثيودوسيوس الذي انضم الى القديسين •

وفي رسالته الى الأساقفة يوحنا ، أونوميوس ، اسطيفانس ، لونجينوس والذين معهم يظهر أيضا تأسفا شديداً من الشقاقات التي حدثت في الكنيسة حتى صار أولادها هزءاً لأعدائهم • ويسألهم أن يغلبوا الشر بالخير ويسامحوا الذين مع أوجين وأن يتحدوا معهم ان كانوا حقا مستعدين أن يكفروا بالبدعة التي سقطوا فيها لئلا يصير شق آخر في أيامه • وأخيراً يؤيد ما اقتبله من الراقد بين القديسين البابا ثيودوسيوس والآباء والملافنة الذين قبله ، وينصحهم أن يبتعدوا بكل قوتهم عن بدعة مثلثي الآلهة والجواهر الى جانب البدع الأخرى التي حاربت بيعة الله •

وفي رسالته الى الرهبان الأرثوذكسيين التي اشترك فيها مار ثيودور مطران بُصرى ، تحذير لهم من بعض الرهبان الذين سقطوا في بدعة تثليث الآلهة وأخذوا يطوفون البلاد ليجتذبوا اليها بعضا من الرهبان والمؤمنين • واهابة بهم ألا يدعوهم يدخلون ديرا

أو بيت أحد من المؤمنين الا بعد أن يحرموا البدعة كما ينص القانون الكنسي · وحث على قبول المقالة التي وضعها منذ مديدة مار ثيودوسيوس الاسكندري الذي انضم الى القديسين وهي ضد مثلثي الآلهة أو كثيري الذوات ·

واشترك مع أساقفة الشرق الأرثوذكسيين في رسالتهم الى الأساقفة الأرثوذكسيين الذين في القسطنطينية وهي نقض لبدعة مثلثي الآلهة والجواهر والطبائع والألوهيات في الثالوث الأقدس المتساوي في الجوهر(٧٩) ·

واشترك أيضاً معهم في وضع ٤٤ فتوى هي عبارة عن أجوبة على أسئلة قدمتها لهم الكنيسة فيما بين النهرين العليا في كيفية التصرف في الأمور البيعية ·

أما رسائله العامة ، والرسائل التي كتبها عند قبوله توبة البطريرك بولس الثاني ، والتي كتبها الى يوحنا الافسسي(٧٨) وغيره بخصوص الخلاف الذي نشأ في الاسكندرية فلا أثر لها ·

□ ■ □

٧٩ ـ فيه ص ١٧٧ ـ ١٨٩ ·

المجاهد الرسولي الأكبر

مار يعقوب البرادعي

بقلم قداسة

مار اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

ܠܥܘܗܕܢܐ ܡܟܢܫܢܐ ܪܒܐ

ܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܒܘܪܕܥܢܐ